أ . د . حلمي محمد القاعود

اخلع إسلامك ..تعش آمنا !

(دفاعا عن الإسلام ضد مثقفي الحظيرة !)

١٤٣٠ هـ = ٢٠٠٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

استهلال

لله الحمد والمنة على كل حال . نحمده سبحانه ونستعينه ، ونسأله العفو والعافية في لدين والدنيا والآخرة ، ونصلي ونسلم على خير أنبيائه المبعوث رحمة للعالمين .. اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين بإحسان إلى يوم الدين ..

وبعد :

فقد بدا لبعض الجهات في بعض الظروف والأحوال أن الطريق الأمثل للاستقرار والأمن وتأمين النظم والحكومات ، هو العمل على استئصال الإسلام وإلغائه ، أو إقصائه في أسوأ الأحوال !

تصور بعضهم أن الإسلام يمثل إزعاجا للقوى الشريرة في الداخل والخارج على السواء ، وأن أفضل السبل لإبعاد هذا الإزعاج هو اتخاذ خطوات عملية تتكئ على الواقع وتتخذ من بعض الأحداث اليومية هنا وهناك ذريعة للتشويش على الإسلام والتشهير به ، وإرجاع كل السلبيات التي يعانيها المجتمع إلى تشريعاته وقيمه وأخلاقه .. فضلا عن اتهام أتباعه ودعاته بتهم غليظة من قبيل التعصب والرجعية والأصولية والجمود والتخلف وغيرها .. واعتماد ما يسمى في البلاغة العربية بفن المغالطة ، أي بالخروج عن مسار النقاش الأصلي إلى مسارات جانبية ، أو تحويل الإجابة عن أسئلة معينة بالإجابة عن أسئلة أخرى غير مطروحة أصلا ..

وقد أبلى مثقفو السلطة أو مثقفو الحظيرة (وفقا لتسمية وزير الثقافة الذي أعلن دخول المثقفين المصريين الحظيرة) بلاء غير حسن ، في التشهير بالإسلام وتشويهه لدرجة وصفه بالإظلام (!) ، مع أن الحق سبحانه يصفه بالنور " قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين " (سورة المائدة : ١٥).

أتاحت السلطة المجال فسيحا أمام مثقفي الحظيرة ، فصالوا وجالوا تشهيرا وتشويشا وتشكيكا في الجزئيات والكليات ، والمتغيرات والثوابت ، الصحف تغص بآلاف المقالات اليومية

والأسبوعية ، ومطابع السلطة (التي يملكها الشعب المسلم) تضخ عشرات الكتب ، برامج الإذاعة والتلفزة تكاد تجعل هؤلاء المثقفين يبيتون بين جدران أماكن البث والتسجيل ، الندوات والمؤتمرات لا تتوقف عن الإساءة للإسلام ووصفه بالظلامية ، الأفلام والمسلسلات تصور المسلم لابسا جلبابا ويغطي رأسه بغترة خليجية ، ومتجهما بشكل شيطاني معاد للحياة والناس والمجتمع مع رغبة سادية في القتل والترويع والاستحلال واشتهاء النساء .. حتى صارا لجيل الجديد يرى الإسلام بعبعا مخيفا يجب التخلص منه بكل الوسائل والسبل ، ولو بعبادة الشيطان ، والانخراط في جماعات التحلل والانحراف !

وصل الأمر بمثقفي السلطة أو الحظيرة إلى الحد الذي نشروا فيه إعلانا على صفحة كاملة في بعض الصحف (من أين لهم قيمة هذا الإعلان ؟) يطالبون فيه عند إجراء التعديلات الدستورية عام ٢٠٠٥ م بإلغاء المادة الثانية من الدستور التي تنص على إسلامية الدولة ، ومرجعية الإسلام الرئيسية في التشريع والتقنين ، متناسين أن الشعب المصري مسلم بأغلبيته الساحقة ٩٩% من أبنائه يؤمنون بالإسلام عقيدة أو حضارة ، وليسوا على استعداد للتفريط فيه أو المساومة عليه ، مهما كانت الضرائب التي يجب أن يدفعوها في سبيل ذلك حرمانا وحصارا وابتعادا عن المناصب الكبرى والوظائف المهمة ..

باءت محاولات القوم بالإخفاق الذر يع بفضل الله ، ولكنهم مع ذلك ما زالوا يحاولون ويسعون في الأرض فسادا ، وهو ما حفزني على كشف أو تتبع هذه المحاولات وق صفحات هذا الكتاب لترى الأجيال القادمة حقيقة المغالطات والأكاذيب التي يروج لها مثقفو الحظيرة ابتغاء صرفهم عن الدين الحنيف ..

أسأل الله سبحانه أن يوفق الأجيال القادمة إلى فهم دينها فهما صحيحا ، والعمل به لإعمار البلاد ، وإسعاد العباد وفق منهج الله .

والله من وراء القصد .

المجد في جمادى الآخرة ١٤٣٠ هـ
يونيـــة ٢٠٠٩ م

حلمي محمد القاعود

بسم الله الرحمن الرحيم

ضد التعصب أم ضد الإسلام؟ ١ من ٦

في مشروع مكتبة الأسرة لعام ٢٠٠٠م، صدر كتاب بعنوان "ضد التعصب" للدكتور جابر عصفور، وهو كتاب كبير الحجم نسبياً يقع في ٤٦٤ صفحة من القطع المتوسط ١٤-١٩. والدكتور جابر عصفور، كاتب معروف، وهو على صلة بالتراث العربي، خاصة التراث النقدي، وله فيه إسهام من خلال رسالته حول الصورة الفنية لدى النقاد القدماء، ثم إنه بالنسبة للعمل العام، قد اقترب من النظام في عهد عبدالناصر، الذي عيَّنه معيداً بكلية الآداب، بعد أن كان مدرساً في منطقة نائية، إثر رسالة تلقاها منه، كما اقترب من النظام في عهد السادات عن طريق السيدة جيهان رؤوف حرم الرئيس، وكانت طالبة في قسم اللغة العربية الذي ينتمي إليه الدكتور جابر.

وفي العهد الحالي، ارتقى الدكتور جابر سلَّم القيادة الثقافية الرسمية من خلال المجلس الأعلى للثقافة ونشاطاته المتنوعة "اللجان . الجوائز . الندوات . المؤتمرات . النشر . المسابقات..."، ومن بداية التسعينيات تقريباً صارت مقالاته، "مانيفستو" حركة الحداثة ثم ما يعرف بالتنوير بعدئذ!.

علاقتي بالرجل على المستوى الشخصي طيبة، وعلى الصعيد الفكري عاصفة، إلى الدرجة التي يمكنني أن أصفه بالصديق اللدود!، وفي أعماقي أهتف دائماً: اللهم اجعل جابر عصفور جندياً من جنود الإسلام، أو أقول: اللهم انصر الإسلام بجابر عصفور، فهو يملك القدرة والطاقة على الدفاع عن الدين، ومواجهة خصومه.

ولعل كتابه "ضد التعصب" يمثل أوضح الأمثلة على الفارق الشاسع بيني وبينه، في الرؤية وتناول القضايا، حيث ينحاز عبر صفحاته، إلى الخطاب الرافض للمرجعية الإسلامية، بل الحانق عليها، المعادي لها، من خلال قضايا ثقافية طارئة ذات صلة وثيقة بمفاهيم إسلامية راسخة، ومن هذه القضايا: قضية نصر أبوزيد، وما يسمى تكفير حسن حنفي، ورواية وليمة لأعشاب البحر.

إن جابر عصفور ينحاز إلى هذه القضايا انحيازاً عاطفياً غير عقلاني، ويناصر أصحابها بلا تحفظ، وفي المقابل لا يرى إيجابية واحدة لدى الخصوم . أعني الإسلاميين . بل يؤاخذهم جميعاً بما يفعله السفهاء، ويرتب على ذلك أحكاماً بظلامية الفكر الإسلامي وإظلام الإسلاميين!، ثم ينتهي بصورة ما إلى أن التعصب سمة ملازمة للإسلام، وبالتالي فهي مفارقة لغيره من العقائد والأفكار.

كان الدكتور جابر . للأسف الشديد . طرفاً أساسياً في أهم هذه القضايا، وعنصر تصعيد لها،

على حساب الآخرين أو الوطن، ولم يجد غضاضة . وهو المسؤول التنفيذي للثقافة والمؤثر الفعال في وسائط الدعاية . أن يشعل النار ضد الإسلاميين وفكرهم، وأن يصمهم جميعاً بالظلامية والإرهاب! وأن يستثمر مناخ العنف والعنف المضاد الذي ساد البلاد عقب مقتل الرئيس السادات . رحمه الله . ليؤلب السلطة التي ينطق باسمها، والرأي العام الذي يخاطبه ضد الإسلام والإسلاميين بوصفهم قتلة ودعاة تخلف وخرافة.

لو أن الدكتور جابر التقط قضية واحدة من القضايا المطروحة، وعالجها بمفهوم إسلامي، ومرجعية إسلامية، لكنا معه على طول الخط، حتى لو أخطأ، لأن الخطأ حينئذ يمكن تصحيحه وتوضيحه وبيانه، ولكنه للأسف الشديد، ظل طوال خصومته ينطلق من مرجعية غربية لا تتفق مع الإسلام في معظم منطلقاتها.

وأبادر إلى تحفظ بأن مرجعية الإسلام تتمثل في القرآن الكريم والسنة المطهرة، واجتهادات العلماء الثقات، ولا يصحّ أن يأتي بعض الناس الذين لا يحفظون قرآناً ولا يفقهون حديثاً، ولم يدرسوا فقهاً أو شريعة لنجعلهم علامات على الإسلام أو مرجعية لأحكامه وقيمه، وتشريعاته، فهذا هو الضلال بعينه، إن الإسلام يحكم على المسلمين، والمسلمون لا يحكمون عليه.. وكل يؤخذ منه ويرد عليه، إلا المعصوم ص.

ومن العدل والإنصاف أن نتابع بعض القضايا التي عالجها الدكتور عصفور، لنرى إلى أي مدى كان اتهامه للإسلام والمسلمين بالتعصب صائباً أو غير صائب.

ترويج الكتاب

فور نزول كتاب "ضد التعصب" إلى الأسواق، رافقته حملة واسعة لعرضه والتعريف به في كبريات الصحف الحكومية والحزبية بأقلام تهاجم الإسلام صراحة، أو تهاجمه نفاقاً سعياً لمكاسب مادية آنية، في الوقت الذي تظهر فيه عشرات الكتب الجادة دون أن تحظى بأي اهتمام ولو بسطرين على امتداد عمود عرضه خمسة سنتيمترات في صحيفة سيارة.

وهذا يقودنا إلى قضية خطيرة ومهمة بدأ بها الدكتور جابر عصفور كتابه، وهي قضية الحرية والتعصب، وقد صدرها بمقولة لأستاذه طه حسين ملخصها أن الحرية لا تتحقق بالتمني، ولكن تؤخذ عنوة "فقد أراد الله أن تكون هذه الحرية حقاً للعلم، وقد أراد الله أن تكون مصر بلداً متحضراً يتمتع بالحرية في ظل الدستور والقانون"، وقد جعل جابر عصفور هذا المعنى في استهلاله لكتابه الذي هو مجموعة مقالات سبق نشرها في صحف بقوله: "إن حرية التفكير والإبداع هي جزء لا يتجزأ من حرية الإنسان الاعتقادية والسياسية والاجتماعية. وهي مسؤولية عقلية وأخلاقية واجتماعية وسياسية"، ومضى يفسر هذه المسؤولية بإسهاب، ونحن معه في تفسيره، وإن كان لنا بعض التحفظات على مصطلحاته وتصوّراته في هذا المجال.

بيد أن المفارقة في موقف طه حسين تكمن في إصراره على أن يقول هو ما يشاء، ويحرم

غيره من الرد عليه، وذكر بعض معاصريه أنه كان يذهب إلى الصحف التي تنشر ردوداً مغايرة لما يقول، ويطلب من أصحابها عدم نشر هذه الردود، ولم يؤثر عنه أنه وقف موقفاً واضحاً إلى جانب حرية الشعب أو الأمة، بل إنه قبل رشوة من انقلاب يوليو ١٩٥٢م حين وضع اسمه رئيساً لتحرير جريدة "الجمهورية" قرابة خمسة عشر عاماً دون أن يكتب كلمة واحدة في هذه الجريدة، بل دون أن يذهب إليها، وكان يتقاضى مرتبه دون عمل مقابل.. أين هذا من موقف العقاد الذي دخل السجن وتعرّض للجوع بسبب مواقفه من أجل الحرية؟ إن الكلام عن الحرية جميل، ولكن تطبيقه أجمل.. ويصبح هذا الكلام قبيحاً وبشعاً وشنيعاً حين نطبقه بالنسبة لأنفسنا ونحرّمه على غيرنا من المخالفين، وهذا ما فعله طه حسين وكثير من تلاميذه الذين يرون الحرية حقاً لهم وحدهم دون غيرهم. كان طه حسين لا يرد غالباً على مخالفيه، بل كان يهجوهم ويكنِّي عنهم دون أن يذكرهم، وهذه فصامية عجيبة من رجل يدعو لأخذ الحرية بالقوة.

وجابر عصفور تلميذ طه حسين، يفعل الشيء نفسه للأسف، فهو يحمل على المتعصبين . كما يسميهم . ويقصد بهم التيار الإسلامي، ويصمهم بالإرهاب والقمع والأصولية . بالمفهوم الغربي . وينفي عنهم العقلانية والإبداع والاجتهاد، ويؤسس على ذلك نتيجة خطيرة وهي تقويضهم الدولة المدنية والمجتمع المدني باستبدادهم الديني، ورغبتهم في إقامة الدولة الدينية، وسيطرتهم على المؤسسات التضامنية للمجتمع المدني، مثل نقابات المحامين والمهندسين والأطباء وغيرها.

بل هو المتعصب

هذه الحملة من جانب جابر عصفور تحمل مغالطات تؤكد تعصبه ضد تيار مخالف يمثل الأغلبية الساحقة، ويتكرر مفهوم هذه الحملة على امتداد مقالاته في كتابه "ضد التعصب". وإذا كانت الحرية . كما يقول . مسؤولية عقلية وخلقية واجتماعية وسياسية، فمن واجبه أن يدافع عنها بوصفها حقاً للآخرين، وما لا يعجبه في مفاهيمهم وتصوراتهم يرد عليه بالمنطق والحجة مع المرجعية الواضحة التي تحدد منطلقاته وأفكاره.. ولكن الذي نراه لديه ولدى تيار العقلانيين . كما يسميهم . هو هجاء لا يستند إلى منطق أو حجة، وتحريض رخيص ضد هؤلاء الإرهابيين الظلاميين الأصوليين الذين يقوضون المجتمع المدني ومؤسساته التضامنية، حتى لو أتت بهم انتخابات حرة نزيهة إلى مقاعد القيادة في نقابات متعددة أو مؤسات مختلفة.

والغريب حقاً، أن يعتقد الدكتور جابر عصفور أن الدولة المدنية نقيض الدولة الإسلامية، وكنت أظنه في البداية يقصد بالدولة المدنية، الدولة النقيض للدولة البوليسية أو الدولة العسكرية أو الدولة التي تحميها الطوارئ وتأخذ فيها الديمقراطية الحقيقية إجازة مفتوحة،

وللأسف اكتشفت أنه يقصد بالدولة المدنية الدولة التي لا تبقي للإسلام على أثر، بل تستأصله من حياتها تماماً، وإذا أبقت على أثر فهي دولة دينية بالمفهوم الكنسي، على غرار الدولة الدينية في العصور الوسطى المظلمة بأوروبا.. وبالتأكيد فإن جابر عصفور لا يرى غضاضة في تدخل الفاتيكان في الشؤون السياسية الدولية، ولا تدخل البطريرك الأرثوذكسي الروسي في حرب الشيشان ومباركته لتدمير جروزني وسحق المسلمين، ولا تدخل البطريرك الأرثوذكسي الصربي في تأييد ميلوسوفيتش وكاراديتش ومباركتهما لذبح المسلمين في البوسنة والهرسك وكوسوفا، ولا تدخل البطريرك نفسه في تأييد مرشح المعارضة الصربية لرئاسة الجمهورية، وعدّه الفائز في الانتخابات... ولا... ولا...

بيد أن الدكتور عصفور يقيم الدنيا ولا يقعدها لأن المصريين أو العرب أو المسلمين يريدون إقامة دولة إسلامية على أسس العدل والشورى والمساواة والأخلاق والرحمة، فهذه الدولة دينية كهنوتية في مفهومه، وهي أخطر من دولة صلاح نصر وحمزة البسيوني وصدام حسين!.

لقد أرسى الإسلام الحنيف قيمة التسامح بصورة غير مسبوقة في التاريخ، ورفض العنصرية والاستعلاء المرذول والكبر في صورها المختلفة، وجعل المنتمين إليه أحراراً تحت راية "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، ودوت مقولة عمر في أرجاء الأرض "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً"، ودعا القرآن الكريم إلى الدفع بالتي هي أحسن، وحرّض على العفو الذي هو أقرب للتقوى: فهل يحق لنا بعدئذ أن نتهم الإسلام بأنه ضد الدولة المدنية، ونكفِّر الداعين إليه حين نصفهم "بالتأسلم"، ونخلط ظروف العنف والعنف المضاد، بالدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية لنسحب على الإسلام صفات الدم والقتل والجهل والمؤامرة؟

لا ريب أن الدكتور عصفور يغالط كثيراً حين يستخدم مفهوم الدولة الدينية في مقابل الدولة الإسلامية، ومفهوم المجتمع المدني في مقابل المجتمع الإسلامي، ومفهوم الحرية الغربية مقابل التسامح الإسلامي، ومفهوم التعصب ضد الإسلام، فالتعصب المقيت والخطير كان السمة الأساسية في فكر اليساريين والدنيويين الذين ينافح عنهم الدكتور عصفور .

***

ضد التعصب أم ضد الإسلام؟ (٢ من ٦)

التيار اليساري الدنيوي الذي ينافح عنه الدكتور جابر عصفور، لا يؤمن بالحرية ولا يتقبلها إلا إذا اتفقت مع ميوله ورغباته، وحققت مصالحه وغاياته، وهو يتاجر بالحرية والليبرالية والاستنارة دون أن تكون مبدأً أو خُلقاً أو قيمة حقيقية، والدليل على ذلك قائم في سلوك هذا التيار وممارساته على مستويات عدّة.

لقد باع هذا التيار نفسه من أجل المناصب والمكاسب التي ينالها من وراء الأنظمة المتعاقبة، بل وصلت الحال إلى أن اختصم الأقارب في هذا التيار من أجل منصب هنا أو هناك، وخاصة في وزارة الثقافة التي استخدمت سياسة المنح والمنع لتجمع أكبر قدر من

الأنصار الذين يؤيدون سياستها الفاسدة ومنهجها المريب، وقد تخلّى هذا التيار عن مقولاته وشعاراته ليقبل الاحتفال بالغزاة (ما سُمي بالعلاقات الثقافية مع فرنسا)، وتأييد حكم الطوارئ، واستبداد الحزب الحاكم، والتخطيط الثقافي لاستئصال الإسلام وإقصائه تحت شعار محاربة التطرف والإرهاب.

وفي وزارة الثقافة على سبيل المثال فإن لجان المجلس الأعلى للثقافة تضم في أغلبيتها الساحقة أعضاء من التيار اليساري الدنيوي، ومن شذّ عن ذلك فهو استثناء لذر الرماد في العيون، علماً بأن وزارة الثقافة والمجلس الأعلى للثقافة من الهياكل القومية العامة التي يفترض أنها تمثل الأمة تمثيلاً حقيقياً شاملاً يعبّر عن حقيقة التيارات السائدة فيها، ولكن أدعياء الحرية والليبرالية والاستنارة قصروا هذا الحق على أنفسهم، مع أنهم أقلية ضئيلة جداً تمثل الغرب الاستعماري في مصر، ولا تمثل ثقافة الأمة ولا تعبر عن تطلعاتها بحال.

مجلات وزارة الثقافة لا تكفّ عن الضجيج والصراخ من أجل "فقه الحرية"، ولكنها لا تتقن غير "فقه المصادرة" وراجعوا أعداد هذه المجلات لتروا أنه تيار واحد هو الذي يتكلم ويبدع ويدرس ويترجم، ذلكم هو تيار أدعياء الحرية والليبرالية والاستنارة!، وكأن هذه المجلات من الممتلكات التي ورثوها عن آبائهم وذويهم، وليست ملكاً للشعب كله الذي تمثل الأغلبية الساحقة فيه تياراً آخر مخالفاً يرفضهم.

ومن المفارقات أن وزير الثقافة حين أصدر جريدة بأموال المسلمين، تدافع عنه وعن خطاياه الثقافية، رفع على رأسها عبارة لقاسم أمين تفيد بقبول الآراء المخالفة وضرورة نشرها، ولكن جريدة الوزير بعد عددين أو ثلاثة ـ ولعل ذلك كان للتمويه ـ أحكمت الحصار حول المخالفين، ولم تفسح صدرها وقلبها إلا للأتباع من أنصار الوزير، أعني التيار الدنيوي بفصائله المختلفة!

وجريدة الوزير تكرار لمجلة كانت تصدرها مؤسسة الأهرام اسمها "الطليعة" ورفع محررها على صدرها شعاراً لفولتير يقول: إنني على استعداد أن أدفع دمي ثمناً لإعلان رأيك.

ثم فوجئ الناس أن هذا المحرر يعني دفاعه عن حرية الفصائل الأخرى اليسارية الدنيوية ولا يعني بقية خلق الله من المسلمين وغير المسلمين!

مشكلة الدكتور جابر عصفور والتيار الذي يتحدث باسمه أنهما يؤمنان أن حرية الآخر مرفوضة تماماً، وأن غايتهما الأساسية هي إقصاء هذا الآخر تماماً مهما كان موضوعياً ومعتدلاً ومتزناً، وإلا فلننظر في المؤتمرات والندوات والمنشورات ومعارض الكتاب وغيرها من أوجه النشاط الثقافي، ثم نسأل من الذي يحضرها ويستفيد بها، ومن الذي تدور حوله الأضواء؟!

والإجابة بالطبع: أعلام التيار اليساري الدنيوي، وكأن مصر المسلمة عقمت إلا من هؤلاء، صحيح أن الظروف قد تستدعي أن يتسرب شخص مغاير أو أكثر إلى هذه الأنشطة، ولكن هذا التسرّب يأتي لغاية معروفة سلفاً هي تحسين الوجه الثقافي الذي تظهر به السلطة الثقافية المستبدة.

إن الحرية ـ كما ينادي عصفور وغيره ـ لاتتجزأ، ومسؤوليتها شاملة، ولكنها في واقعهم تتجزأ وتتحدّد، وتلك لعمري آفة التيار اليساري الدنيوي الذي يؤمن عملياً بمبدأ ميكافيللي: الغاية تبرر الوسيلة!

إن الضجة التي أثيرت حول نصر أبو زيد، وحسن حنفي، ومارسيل خليفة، وامرأتين خليجيتين، وحيدر حيدر، كان من المنتظر أن يحدث مثلها إن لم يكن أكبر منها من أجل الذين تقمعهم سلطات الحكومات المدنية ـ كما يسميها اليساريون والدنيويون ـ وتضعهم في السجون بلا محاكمات، أو تحاكمهم أمام محاكمات عسكرية لا يُردّ حكمها ولا ينقض، لأنهم يخالفون هذه السلطات في مناهجها، ويطالبون بالحرية والعدل والشورى والمساواة والإصلاح.. ولكن اليساريين والدنيويين ـ يمضون على منهج الغرب في احتقار العرب والمسلمين، ولا ينطقون

بكلمة، ولا يتفوهون بلفظة لأن هذه السلطات ستمنع عنهم الماء والكلأ لو تكلموا، وتستغني عن خدماتهم لو نطقوا، وستبحث بعدئذ عن غيرهم بالضرورة، لذا فإنهم حريصون تماماً على الصمت عند اغتيال الحرية الحقيقية، والضجيج من أجل منتهكي حرمة الإسلام والمسلمين، ويصبح تأويل المحكم من آيات القرآن الكريم إبداعاً واجتهاداً وصنعاً للمستقبل، وغناء آيات القرآن الكريم على الألحان الموسيقية عملاً فنيّاً راقياً، والتوفيق بين الإسلام والحداثة الغربية بحثاً مبتكراً وإنجازاً فكرياً، وسبّ الذات الإلهية والرسول الكريم ص وتشويه صورة الإسلام، وتلويث المسلمين من الإبداع الذي لا يفقهه إلا أعلام النقد المستنير من أمثال اليساري فلان وعلان وترتان!

لو أن التيار اليساري الدنيوي الذي يمثّله جابر عصفور يعبر عن نفسه في وسائط ثقافية يملكها، ما اعترض أحد، ولكنه يعبّر عن نفسه في وسائط قومية يملكها الناس جميعاً ومنهم الأغلبية الساحقة المسلمة، وفي الوقت ذاته يمنع هذه الأغلبية الساحقة المسلمة من التعبير عن نفسها في الوسائط التي تملكها، فهل هذا عدل؟ وهل هذه حرية؟.

***

ضد التعصب أم ضد الإسلام ؟ (٣ من ٦)

يبكي الدكتور جابر عصفور في كتابه "ضد التعصب" من أجل الدكتور نصر أبو زيد الذي رفضت اللجنة العلمية ترقيته إلى درجة أستاذ، ويخصص أكثر من نصف الكتاب للدفاع عن نصر، وسرد محاكماته، وانتقاد الأحكام التي صدرت بردّته والتفريق بينه وبين زوجته نتيجة لتأويلاته الفاسدة لمبادئ إسلامية ثابتة ومعلومة. والحقيقة أن نصر أبو زيد ضحية لجابر عصفور ومن معه، فقد ألقاه في اليمِّ وحذره من

الغرق وهو لا يعرف العوم!
ويعلم جابر عصفور أن اللجنة العلمية، وخاصة لجنة الأساتذة المساعدين التي كان مهيمناً عليها، مع وجود من هم أقدم منه سناً وعلماً ووظيفة قد ظلمت كثيرين، ونكلت بكثيرين، وغدرت بكثيرين، لا لشيء إلا لأنهم لم يكونوا على منهج أهل اليسار والدنيويين، أو لأنهم أرادوا التعبير عن ذواتهم ونهوضهم في وجه المتاعب والصعاب.
هؤلاء المظلومون . وما أكثرهم . لم يجدوا صفحة للحوار القومي تساندهم، ولا صحافة يسارية تعضدهم، ولا أقساماً أو مجالس كليات علمانية تدعمهم، بل لم يجدوا من يصغي لهم أو يهدهد أحزانهم، وقد سمعت بأذني أحد أعضاء اللجنة يسخط على المهيمنين عليها، ويقول: إنهم يريدون ذلك، أي عدم ترقية فلان أو علان.. فالترقية المزاجية لم تكن ضد "نصر أبو زيد" ولم تكن رغبة "عبدالصبور شاهين" الذي اتهمه جابر عصفور بتهم غليظة، ولكنها كانت ضد المخالفين لليسار وأتباعه، ورغبة المحكمين اليساريين الدنيويين!.
مشكلة جابر عصفور وجماعته أنهم لا يرون إلا أنفسهم ومصالحهم، وهذه مأساة بكل المقاييس، وكانت الظروف التي تقدم فيها "نصر أبو زيد" للترقية حافلة برغبة جهات خارجية وداخلية للقضاء على بقية مظاهر النشاط الإسلامي، حتى الأنشطة الخيرية، مما أعطى لجابر وجماعته فرصة الانطلاق، ليس دفاعاً عن نصر بقدر ما كانت سعياً لعملية الاستئصال والتشهير بالإسلام، والداعين إليه وإلى تطبيق تعاليمه في الحياة اليومية والعامة، لا شك أن "نصر أبوزيد" كان ضحية لعملية واسعة ضد الإسلام، حيث كان موضوعه مدخلاً لبعث الأفكار الرديئة والكتابات السخيفة والتصورات الفاسدة التي تصب في تقويض مفاهيم الإسلام وأخلاقه، وتخدم الغرب الصليبي الاستعماري وقاعدته اليهودية في فلسطين المحتلة.
فرأينا مقولات الشعر الجاهلي ومستقبل الثقافة في مصر لطه حسين، والإسلام وأصول الحكم لعلي عبدالرازق، والمرأة في الإسلام لمنصور فهمي، وتربية سلامة موسى، ومؤلفات لويس عوض، وغيرهم من الذين استباحوا ثوابت الإسلام وقيم الأمة، يعاد إنتاجها من جديد، أو تطبع مرة أخرى، في الوقت الذي يتم فيه حصار الكتاب الإسلامي والمجلة الإسلامية والصحيفة الإسلامية من خلال أجهزة الدولة.
"نصر أبوزيد" كان شخصاً متديناً، وكان فلاحاً مجتهداً، ولكنه تحول بفضل الهيمنة اليسارية الدنيوية إلى ما اعتقد أنه صواب، فتجرأ على القرآن الكريم والتاريخ الإسلامي بغير الحقيقة العلمية، ودخل في متاهات، ما كان أغناه عنها لو أنه احتكم إلى المفاهيم الصحيحة للتأويل من خلال المنظور الإسلامي، وليس المنظور الغربي "الهرمينوطيقا"، إن القرآن الكريم يضم آيات محكمات وآخر متشابهات، والمحكمات واضحة وضوح الشمس لا يجوز تأويلها لأنها تقنن العقيدة والشريعة في قوانين إلهية لا تحتاج إلى تأويل أو اجتهاد، وقد أجمعت عليها

الأمة سلفاً وخلفاً، فما الذي يدعوه إلى اختراق الثوابت واللعب بها؟ إنها الدعاوى التي غررت به وثبت زيفها: حرية التعبير وحرية الفكر، والعقلانية والاستنارة.. وكأن الإسلام لا يعرف شيئاً من ذلك أبداً في مفهوم اليساريين!.

أما المتشابهات من الآيات فمردها إلى أولي العلم الذين يملكون صلاحية البحث والتحري، وهؤلاء هم الثقات الذين تستريح إليهم الضمائر والأفئدة، ولهم اجتهادهم أو تأويلهم الذي يصل بهم إلى الحقيقة والصواب بإذنه تعالى.

لقد أخطأ نصر حامد أبوزيد، ورصدت محكمة النقض . أعلى درجات التقاضي . عدداً من أخطائه الفادحة والفاضحة، ولكن هذا لم يقنع جابر عصفور الذي بات ينوح على نصر، ويهجو القضاة والمحكمة والحكم، ويستشهد بآراء اليساريين والدنيويين الذين انحازوا إلى التجليات الفكرية الاستعمارية.

مشكلة جابر وجماعته مركبة ومعقدة، لأنهم يرفعون قميص عثمان ويطالبون بالثأر له، ولكنهم في الحقيقة يريدون الانتقام من الإسلام الذي يمثل عائقاً وحائط صد خطيراً في وجه التغريب والعلمنة والهيمنة الاستعمارية.

ترى لو أن نصر حامد أبوزيد استخدم التأويل في تفسير الإنجيل والتوراة، وذهب إلى عكس ما تعارف عليه الكرادلة والحاخامات هل كانوا سيتركونه أو يتركون المؤازرين له؟ وهل كان جابر عصفور وجماعته يستطيعون رفع أصواتهم، بل يتحدون القانون الذي يحظر التعليق على الأحكام الصادرة عن القضاء، وخاصة محكمة النقض؟

هل وصل الأمر إلى أن يكون الإسلام ديناً مستباحاً وأن يكون تسفيه أحكامه وتشريعاته ومبادئها لتي تربط الفرد بالمجتمع وتضع أسس العلاقة بين الراعية والراعي، أمراً مطلوباً من جهات خارجية وداخلية لإذلال العرب والمسلمين، وترسيخ أقدام اليهود في فلسطين. (فلا وربك لا يؤمنون حتى" يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما(٦٥)) (النساء)

***

ضد التعصب أم ضد الإسلام (٤ من ٦)

محنة نصر أبوزيد، التي أفاض جابر عصفور في الحديث عنها عبر صفحات كتابه "ضد التعصب" تمثل نموذجاً للعب بالنار الذي يقوم به التيار اليساري الدنيوي، حين تلتقي أهدافه مع غايات الاستبداد وقهر الوطن.

خذ مثلاً مصطلح "التنوير"، إنه مصطلح مخادع مخاتل، لأنه يراوغ القراء وخاصة عامتهم

الذين يفهمون المعنى الظاهري، المباشر للمصطلح، وهو الإضاءة أو إشاعة النور ونشره، ولكن المعنى بمفهومه الأوروبي . كما يعرف جابر عصفور ويقصد . يكمن في الإيمان بما هو واقعي وطبيعي فحسب، مما يعني رفض الغيب والوحي والإله.

إن إعلاء شأن العقل دون سواه، يعني رفض الوحي الذي يمثله عندنا نحن المسلمين "النقل" متمثلاً في القرآن الكريم والسنة المطهرة والإجماع. إن العقل لا يتناقض مع النقل في الفكر الإسلامي.. حتى المعتزلة الذين يفخر بهم جابر عصفور وتلميذه نصر أبوزيد، يستخدمون العقل لإثبات النقل.. وإذا كان التنويريون الأوروبيون قد آمنوا بالعقل وحده، فذلك أمر طبيعي، لأن الكنيسة الغربية أعطت لنفسها حق التطهير والحرمان، وقيَّدت العقل، وأفسحت المجال للخرافة، وحاربت العلم والبحث، واستعبدت البشر، ونشرت الظلام في كل مكان، وهو ما لم يحدث في الإسلام، وفي العصور المظلمة كانت بغداد تفخر بأنها تخلو من وجود أمي أو أمية، وفي الوقت ذاته كان "شارلمان" إمبراطور الدولة الرومانية لا يعرف كيف يكتب اسمه.

من مزايا التنوير الأوروبي، أنه أكد على كرامة الإنسان، بصرف النظر عن الناحية العقدية، ولكن التنويريين العرب، يرون التنوير محدوداً بنقطة واحدة هي إلغاء الإسلام، لأن مرجعيته تقوم على النقل، وهي القرآن الكريم والسنة النبوية وإجماع المسلمين، وقد دفعهم هذا إلى الرضا بسحق الإنسان "لأنه مسلم"، وخدمة الأنظمة المستبدة "التمرّغ في خيراتها بالتالي"، والصمت عن ممارساتها في مصادرة الحرية والكرامة والشورى "التي هي أكبر مساحة من الديمقراطية"، والمساواة والعدل والمشاركة في صنع الأوطان.. في أوروبا لا تقتحم الشرطة بيت مواطن في الفجر، مهما كانت التهم الموجهة إليه، ولا يتم تعذيبه بأحدث ما وصلت إليه التكنولوجيا، ولا يُلقى في السجن دون محاكمة، ولا يُعاد اعتقاله بعد تكرر أحكام الإفراج عنه، ولا يُحاكم أمام قاض غير قاضيه الطبيعي، ولكن هذا كله يحدث في كثير من البلاد العربية، ويؤيده أهل التنوير العرب، ويرونه جزءاً من التنوير!.

ويستخدم جابر عصفور مثلاً مصطلح "التأسلم" و"المتأسلمين" تعبيراً عن كل من يرى ارتباط الإسلام بشؤون الحياة والمجتمع والحكم والاقتصاد والتربية واجباً، وهذا المصطلح سكَّه شيوعي سابق كان تلميذاً لهنري كورييل . الصهيوني الهالك . وصار مليونيراً حالياً ومتأمركاً بارزاً. وقد أكثر جابر عصفور من ترديد هذا المصطلح على مدى اتساع كتابه ليؤكد على حقيقة أن كل من يدعو إلى الإسلام بمفهومه الصحيح هو دعيّ يطلب الحكم ويسعى إليه. والتأسلم بهذا المفهوم التنويري يعني أن صاحبه ليس مسلماً حقاً ويتستر بالإسلام، أي أنه كافر، وهو ما يسميه جابر عصفور وشيعته بالتكفير، ويعيبه على بعض المسلمين الذين يكفرون الآخرين، ويفتشون في قلوبهم.. ولكن ما يعيبه جابر عصفور على غيره، يقترفه هو. وهكذا فإن علماء الدين ورجال الأزهر، وكل من يكتبون أو يدعون إلى الإسلام الشامل هم

كفرة عند جابر عصفور وشيعته، فضلاً عن كونهم إرهابيين يستحقون الاستئصال والسحق.
ومثل "التنوير" و"التأسلم" يستخدم عصفور مصطلح "الأصولية" بمفهومه الغربي، وهذا المفهوم يجعل المصطلح مقيتاً وكريهاً، لأنه ضد الحياة والتقدم والمستقبل، وتطبيقاته عند الأصوليين اليهود والصليبيين في أمريكا وكندا والغرب توحي بالتخلف الشديد والعداء للحضارة والمدنية.. فهل الأصولية عند المسلمين كذلك؟ الحقيقة أن الأصولية عند المسلمين مفخرة لهم ولدينهم ولحضارتهم، فهي تعني القياس والاستحسان والمصالح المرسلة والاجتهاد الذي يحقق صالح الناس.. وإذا كان بعض الأصوليين في الغرب يرفض نتيجة المدنية الغربية الحديثة من آلات ومبتكرات، فإن الأصولية عند المسلمين تسعى لتوظيف هذه المنتجات وتقبلها في الدائرة اليومية الإنسانية.. وبالطبع، فإن أصولية المسلمين دليل على الوعي والتفتح ومعانقة الحياة، وفارق كبير بين من يرفض استخدام المصباح الكهربي، ومن يوظفه ليستفيد منه على أكبر نطاق.. ومن المؤسف أن جابر عصفور في كتابه "ضد التعصب" ظل يلف ويدور حول معنى الأصولية لغوياً دون أن يلتفت إلى دلالتها حضارياً لدى علماء المسلمين، مما أوقعه في التأويل الخاطئ.
لا ريب أن "جابر عصفور" يجد متعة في استخدام المصطلح استخداماً مراوغاً يخدم أهداف التيار اليساري الدنيوي، ويدعم السلطة الشمولية التي تحكم بالطوارئ والمحاكم العسكرية، وما رأيناه في استخدامه للتنوير والتأسلم والأصولية، ينسحب على بقية المصطلحات التي يبثها عبر صفحات كتابه "ضد التعصب" مثل الاجتهاد، والتعدد، ونسبية النتائج، والمجتمع المدني، والدولة المدنية، والاستبداد الديني "يقصد الإسلامي!"، والسؤال والشك، والتجريب والإبداع، ورجال الدين والتعصب الديني، والاتباع والابتداع، والثقافة التقليدية، والدولة الدينية، والخطاب الديني، وجماعات الضغط المتأسلم... إلخ.

***

ضد التعصب أم ضد الإسلام (٥ – ٦)

يُخصص جابر عصفور جزءاً غير قليل من كتابه ((ضد التعصب)) دفاعاً عن ((حيدر حيدر)) صاحب الرواية البذيئة الفاجرة ((وليمة لأعشاب البحر)) ، وجابر عصفور له ولع خاص بالكتّاب ((الطائفيين)) ، فهو يتحدث عنهم كثيراً ويحتفى بهم كثيراً وعلى سبيل المثال ، فقد خصص ل ((على أحمد سعيد)) المشهور باسم ((أدونيس)) عدداً خاصاً من مجلة ((فصول)) عندما كان رئيساً لتحريرها ، ويوم وفاة ((سعدالله ونوس)) خرج عن سياق كلمته فى ندوة كانت مخصصة للاحتفال بمحمد فريد أبو حديد ، ليرثى بحزن وهلع الكاتب النصيرى الراحل بصورة كادت تغطى على المحتفى به !.

ومع ((حيدر حيدر)) فقد ذهب إلى أبعد من ذلك ، حيث كانت مشورته لوزير الثقافة بمصادمة الأمة كفيلة بإثارة القلاقل والاضطرابات ، فبعد أن أعلن الوزير – فاروق حسنى – أن رواية الوليمة ستخضع للتحقيق ، خرج ليعلن – وفقا للمشورة – أنها رواية رائعة وليس بها ما يُسيء إلى الإسلام أو المجتمع ، وتجرأ الوزير على رافضى الرواية بكلام مستفز، فتحرك

الطلاب فى جامعة الأزهر ليتظاهروا ، ثم كانت اللجنة التى شكلها الوزير برئاسة ((عصفور)) لدراسة الرواية سبباً آخر من أسباب إثارة التوتر ، حيث غالط أعضاؤها ، ودلسوا على الأمة ، وزعموا أنهم وحدهم أصحاب الاختصاص فى قراءة الرواية وفهمها والحكم عليها ، أى احتكار القول الفصل فى شأنها ، مما يعنى أن غيرهم – ولو كان متخصصاً – لا يفهم الرواية ولا يستطيع تقويمها ...

والرواية ببساطة شديدة رواية ماركسية كتابة وأشخاصاً ، وكما يعلم أبسط الناس ، فالماركسية ضد الإسلام ، ومعادية له ، وهذا ما صنعته الرواية ، فقد سبت الذات الإلهية على لسان شخوصها ، وأساءت إلى النبى – صلى الله عليه وسلم – ، وهو ما أكده حيدر فيما بعد حين تحدث إلى إحدى القنوات الفضائية . . ثم إن الرواية الرديئة فناً وإبداعاً – حافلة بالإباحية والجنس الفج والدعوة إلى الشذوذ ، ومع هذا تخرج لجنة عصفور لتهجو الأمة التى لا تفقه قراءة الرواية ، ولا تفهم تجلياتها الإبداعية الرائعة فى مفهوم اللجنة اليسارية الدنيوية !، ثم – ويا للمفارقة – تتحدث عن دفاع الرواية عن الإسلام من خلال وصف المجاهدين الجزائريين وهم يهبطون من الجبال بعد انتصار الثورة ويهللون ويكبرون !.

وكم رأينا من تدليس وكذب ، فى نقل الأقوال وتفسير العبارات دون خجل أو حياء ، وكانت النتيجة أن تصدت قوات الشرطة لطلاب الأزهر ، وسقط جرحى ، وقبض على عديدين ، وتواترت أنباء عن تعذيبهم ، ثم كانت الطامة الكبرى بإغلاق حزب العمل ذى التوجهات الإسلامية ، وإيقاف صحفه ، مما نتج عنه تشويه صورة الدولة ((المدنية)) التى ينافح عنها عصفور ، حيث ظهرت بمخالب عسكرية شرسة .

ولا يجد ((جابر عصفور)) غضاضة فى قلب حقائق الأشياء ، وهو يسرد قصة الوليمة البذيئة وما رافقها من أحداث ، فيُسميها ((الرواية المظلومة !)) ويؤكد على أن مظاهرات طلاب الأزهر حركتها قواعد ((الإخوان المسلمون)) فى الجامعة . ثم يقدح فى الأزهر بطريقة غريبة ، ويصف ثقافته بثقافة النقل والتقليد المعادية للعقل ((ولا يُشجع على الاجتهاد والاختلاف ، والنتيجة هى شيوع الجهل الذى يتكاثف كما تتكاثف الظلمة ، والتعصب الذى ينمو أسرع من ورد النيل القاتل ، والاندفاع إلى العنف الذى ينتظر إشارة)) (ص ٤١٢) .

إن ثقافة الأزهر الذى يضم مئات المعاهد وعشرات الكليات فى مختلف التخصصات مستمدة من الشريعة ، وتشمل الطب والهندسة والصيدلة والعلوم ، ويتدرب طلاب الأزهر منذ الصغر على فقه المذاهب ونحو المدارس وآراء علماء الكلام ووجهات نظر المفسرين وروايات المحدثين وأقوال المؤرخين .. فهل يمكن لمنصف بعد ذلك أن يصف الأزهر بالجهل والتقليد والعنف ؟ .

إن جابر عصفور – وحده – هو الذى يستطيع أن يندفع بتعصبه الدنيوى ((غير العقلانى)) ليسوء الأزهر ويهجوه هذا الهجاء المقذع دون أدنى تحفظ ! والمفارقة أن شيعته اليسارية الدنيوية دبجت – ذات يوم – مدائح فى أحد شيوخ الأزهر الذى أحل فوائد البنوك ووافق السلطة فى اتجاهاتها ، ولم تبخل عليه بوصف ((المستنير)) ، ولا أدرى إن كان فضيلته قد أدرك المغزى الفلسفى لهذا الوصف أم لا ؟

إن الرواية البذيئة كشفت حقيقة التدليس اليسارى الدنيوى وتخليطه الفكرى وخطابه ((الديماجوجى)) سعياً لإرضاء الاستبداد وقهر الشعب ، وأيضاً لاستئصال الإسلام وجذوره الراسخة من وطن يعده أهل الأرض المسلمون عقل الإسلام وذراعه القوية فلصالح من يفعل ذلك اليساريون الدنيويون ؟ اسألوهم .

لقد أدان الأزهر الشريف الرواية البذيئة وأكد بيانه الصادر بهذا الشأن أن الرواية كلها ((تحرض صراحة على الخروج على الشريعة وعدم التمسك بأحكامها)) .

فكان غضب عصفور على الأزهر ضارياً ، ولم يحتمل رأى الأزهر فى الرواية ، ولم يقبل الرأى الآخر ، فراح يحرض على الأزهر وطلابه وأساتذته والحركة الإسلامية ، ويصف الرواية البذيئة بالرواية ((المظلومة !)) ، ويقلب الحقائق ماستطاع إلى ذلك سبيلاً .

***

ضد التعصب أم ضد الإسلام؟ (٦ من ٦)

يحرص جابر عصفور في كتابه "ضد التعصب"، على مطاردة الثقافة الإسلامية مطاردة أمنية من خلال تحريضه السافر ضد وسائط التثقيف الإسلامي، إنه يسمي الثقافة الإسلامية بثقافة العنف، وهي التسمية الرائجة في الغرب الصليبي الاستعماري الذي لا يرى في ثقافتنا إلا الإرهاب والتعصب والعنف، وهي التسمية ذاتها التي تشير إليها العصابات اليهودية في فلسطين عندما تتحدث عن الإسلام وقيمه.

ثقافة العنف عند جابر عصفور "ثقافة مرجعيتها دينية!، تبدأ وتنتهي بالدين الإسلامي على نحو ما تتأوّله مجموعة من الأفراد أو التنظيمات أو الجماعات أو بعض المؤسسات الدينية"، ثم يستدرك على ذلك قائلاً: "ويعني ذلك أن السند الديني المباشر لهذه الثقافة ليس نصوص كتاب الله وأحاديث الرسول وسنته، وإنما تأويل هذه النصوص بما يشدّها إلى هدف بشري بالضرورة، ويضعها في سياق من العقلنة التفسيرية الموظفة لخدمة بعينها، غاية ترتبط بما يحقق مصالح الأفراد أو الجماعات أو التنظيمات أو المؤسسات التي تجعل من هذا التأويل، أو هذه العقلنة

التفسيرية، أصلاً لوجودها، ومبرراً لاتجاهاتها، ودافعاً لمواقفها وأفعالها، والهدف السياسي لهذه العملية هو التمهيد الفكري لإقامة دولة دينية تحل محل الدولة المدنية" (ص٤٤١.(

مشكلة جابر عصفور أنه يراوغ دائماً في كتاباته ومصطلحاته ليحقق التأثير المطلوب لدى القراء، ولكن القراء الواعين يدركون أنه يناقض نفسه دائماً، فكثيراً ما اتهم الحركة الإسلامية بل الفكر الإسلامي بالنقل والتقليد والجمود، ولكنه في الفقرة السابقة يتحدث عن "العقلنة التفسيرية" التي تملكها ثقافة العنف كما يسميها أو ثقافة الإسلام، كما يقصد في حقيقة الأمر.

إنه يصم هذه الثقافة وأصحابها بعدم العقلانية، ولكنه هنا يثبتها لهم حتى لو كانت في اتجاه مضاد له مما يعني أن الرجل ليس على موقف عقلاني راسخ، بل موقف عاطفي تعصبي لا يطيق وجوداً للثقافة الإسلامية.

إن جابر عصفور يرفض المرجعيّة الدينية أي المرجعية الإسلامية، وهذه رؤية غربية أو رؤية كنسية تحديداً، تختلف بالضرورة اختلافاً كاملاً مع الرؤية الإسلامية التي ترى أن الإسلام يحكم المسلم في كل شيء.

لقد وضَّح الإسلام في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة أحكاماً أساسية وفرعية في العبادات والمعاملات والسلوك والقيم والعلاقات بين المسلمين وغيرهم، وبين الدول الإسلامية والدول الأخرى، وهذه هي المرجعية الإسلامية "لا الدينية كما يسميها جابر عصفور"، ولا أعتقد أن مسلماً مؤمناً بالإسلام حقاً يمكن أن يقبل بالتنازل عن الإيمان بالجانب التطبيقي من الإسلام مكتفياً بالجانب الروحاني، لأن هذا إيمان ببعض الكتاب وكفر ببعضه الآخر.. ويبدو لي أن جابر عصفور يعيد إنتاج مقولة علي عبدالرازق في كتابه الشهير "الإسلام وأصول الحكم"، وإذا كان الرجل قد تراجع في كهولته عن هذه المقولة، فإننا نسأل الله أن يتراجع جابر عصفور عنها هو الآخر، وأن يكون من جنود الإسلام الذين ينصرونه وينافحون عنه، كما تمنيت في بداية حديثي حول كتابه.

إن التأويل الذي يتحدث عنه عصفور، ليس صحيحاً، فالأمة لا تقبل إلا ما يتفق مع القرآن الكريم والسنة المطهرة، وليست هناك قداسة لأحد أو عصمة لمخلوق في الإسلام، فالقداسة لله وحده، والعصمة لنبيه صلى الله عليه وسلم ، وما عداه يؤخذ منه ويُردّ عليه، وقد تحدث القرآن الكريم عن قضية التأويل بوضوح وحسم:

هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب (٧) (آل عمران).

إن الدولة في مصر والبلاد العربية والإسلامية لن تكون إلا دولة إسلامية (وليس دينية!)، مرجعيتها الإسلام شئنا أم أبينا، لأن جماهير الأمة ليست على استعداد لمفارقة الإسلام واللهاث وراء الغرب الصليبي، ولو أراد بعض حكامها.. بل إن الغرب الصليبي يعد الدول العربية والإسلامية جميعاً "دولاً أصولية" أي إسلامية، حتى تلك التي تستأصل الإسلام وتحاربه في إعلامها وبوساطة "مثقفيها المستنيرين".

والدولة الإسلامية هي الدولة المدنية الوحيدة في العالم ، لا شأن لنا بما هو واقع؛ لأنها نقيض الدولة الدينية (الكنسية واليهودية)، وهي الدولة الوحيدة التي تجعل من تمام الإيمان، بل من أسسه رفض العنصرية والظلم والغدر، وتقيم بنيانها على التسامح والعفو والتعاون والحرية والشورى.. وليت جابر عصفور يتخلى عن الرؤية الغربية للإسلام، ويحاول قراءته بعقلانية وحياديّة، بعيداً عن صخب التعصب التنويري، والتعصب السياسي، ورغبة الاستئصال لجذور الإسلام.. ولاشك أنه سيجد ثراءً عقلياً وحضارياً باهراً يفوق ما لدى الغرب والشرق جميعاً.

وأكتفي بهذه السطور متمنياً لصديقي اللدود الخير والعافية والسلامة من كل شر.

***

الست فلّة .. والست تونس!

قبل فترة ذهب إلى تونس نفر من الصحفيين والكتاب المصريين الذين يخدمون نظامنا البوليسى الفاشى ، أو يرضى عنهم على الأقل ، وراحوا يبشروننا بالتطور الذى حدث فى البلد الشقيق ، والتقدم الذى أنجزه فى كافة المجالات ، ولم ينسوا بالطبع أن يحدثونا عن " الكسكسى " والأكلات الشعبية التونسية ، وأشاد بعضهم بالإنجاز الهائل الذى حققته " تونس الخضراء " فى مجال التحديث ، وكان مظهره أنه لا توجد فتاة محجبة فى كلية الآداب التونسية التى زاروها !

وذراً للرماد فى العيون أشار بعضهم إلى ما يُسمّى ببعض السلبيات القليلة التى تجعل من تأثير الإيجابيات (!) موضع تساؤل !

كتاب السلطة المصريون الذين ذهبوا إلى تونس يعلمون جيداً أن النظام الحاكم هناك بوليسى فاشى ، يقوده دكتاتور ، ولاؤه لفرنسا والغرب واليهود ، وهو لا يخافت بذلك بل يعلنه فى كل وقت وحين ، وكان وزيراً لداخلية سيّده الراحل " بورقيبة " ، وجلاداً له ، ثم انقلب عليه وعزله وعيّن نفسه ديكتاتوراً بديلاً له يحكم بالحديد والنار ، وصنع نظاماديكورياً ، يعتمد على مجموعة من الأحزاب الكارتونية التى تشبه أحزاب مصر الرسمية ، وفى الوقت نفسه راح يستأصل الإسلام ، ويغتال الإسلاميين ويعتقلهم ويعذبهم بلا رحمة ، ضارباً عرض الحائط بالأخلاق والقيم والقوانيين المحلية والدولية ، وضم إلى الإسلاميين مجموعات أخرى من المستقلين والشيوعيين ، ولم تكن النساء بمعزل عن ذلك .. فقد " شرّفن " السجون التونسية ومعتقلاتها ، وفى الوقت نفسه ، فقد اختار عالم سلطة وفقيه شرطة جعله وزيراً للأوقاف –

مثلما يفعل نظراؤه فى دول أخرى ، وراح هذا الوزير يُفتى بأن الحجاب ليس من الإسلام ، وأنه زى طائفى !! أى إن تونس المسلمة (٩٩% من سكانها مسلمون) يمثلون " طائفة " ، أى أقلية ، ينبغى عليها أن تتجنب الزى الطائفى وتمتنع عنه حتى تكون مستنيرة متسامحة ، لأن الحجاب رمز للتخلف والظلام والأصولية والتطرف والإرهاب ، بمفاهيم سيد البيت الأبيض وخدامه فى المنطقة العربية أو الشرق الأوسط الكبير كما يسمونه !

ولأن النظام البوليسى الفاشى فى تونس يكره الإسلام والمسلمين فقد حرّم الحجاب على الطالبات فى المدارس والجامعات ، والموظفات فى الهيئات والمؤسّسات ، ومن ترتدى الحجاب من هؤلاء أو أولاء ، فإنها تُعامل معاملة عنصرية تضعها فى طبقة أدنى ، ويمكن أن تتعرض لمتاعب لا حد لها . ولم يقتصر الأمر على التونسيات المقهورات المقموعات بقوانين الوحشية البوليسية الفاشية ، فقد امتد القهر والقمع إلى دمية تُباع فى الأسواق على شكل فتاة محجبة تلهو بها البنات اسمها " فُلّة " لذا تفرغ لها النظام البوليسى الفاشى ، وترك القضايا المهمة كافة سواء على المستوى الداخلى أو المستوى الخارجى ، وراح يطارد فُلّة فى المكتبات والمحلات والأسواق ، حتى الحقائب المدرسية المرسوم عليها " فلة " أخذ يُصادرها ، ويشغل قواته البوليسية فى عملية من أغرب العمليات السياسية التى يشهدها زماننا العرب المهزوم .. دولة بكامل أجهزتها تتفرغ لملاحقة " دُمية " حتى لا يُقال إن نظامها يتعاطف مع الإرهاب !

قبل فترة نشرت بعض المواقع الإليكترونية أن النظام البوليسى الفاشى فى تونس الخضراء يفكر فى مشروع يضمن بمقتضاه السيطرة التامة على " المساجد " – أى والله المساجد ! – ويتلخص هذا المشروع فى تخصيص بطاقات ممغنطة يحملها المتردّدون على المساجد ، وكل بطاقة تتعرف على بوابة المسجد المخصص لصاحبها فى الحىّ الذى يسكنه ، فلا يستطيع مسلم تونسى فى صفاقس مثلاً وأدركته الصلاة فى العاصمة أن يدخل أيا من مساجدها ، لأن البطاقة الممغنطة لن تقبل فى بوابة أى مسجد يُريد دخوله ! وكان الهدف كما قال المشروع هو التعرف على المصلين حتى لا يكون بينهم " إرهابى " أو " متطرف " يأتى من هنا أو هناك !

وحين اتسع نطاق النشر عن هذا المشروع التافه الحقير الذى يدل على خسّة أصحابه وتفاهتهم وحقارتهم ، انطلقت ألسنة النظام وأبواقه الكاذبة والمنافقة تنفى وتنفى ..!

وكأنهم يظنوننا بلا عقول ولا منطق .. ويظنون أن هناك أجهزة متفرغة للتأليف والنشر تقدم للناس مثل هذه القضايا والحكايات .. لقد وجد النظام التونسى البوليسى الفاشى ، أن مشروعه سيضعه فى وضع حرج غير مسبوق على المستوى السياسى والمستوى الإسلامى ،

فتراجع صاغراً ذليلاً أمام غضب الرأى العام الإسلامى ، وأعلن أن المشروع ليس له أى أساس من الصحة .. وهدأ الناس لهذا الإعلان !

بيد أن النظام الذى اختار إعلان الولاء للعدو النازى اليهودى فى فلسطين المحتلة ، والارتماء على أقدام الشيطان الأمريكى ، فضلاً عن الاستسلام الكامل لفرنسا التى مازالت تقوم بدورها فى فرنسة تونس فكراً وثقافة وإعلاماً وسياسة ، وتتستر على كبار اللصوص من المقربين إلى النظام ، أقول إن هذا النظام لم يحقق إنجازات تُذكر إلا فى إحكام قبضته على الشعب الشقيق ، والعمل على استئصال الإسلام من صدور بنيه ، بعد أن استأصله من الجامعات والمدارس والجامعة الإسلامية العريقة " جامعة الزيتونة " التى ظلت قروناً تحمل شرف دراسة العلوم الشرعية الإسلامية من جيل إلى جيل ، وقد سخرت لهذه المهمة الآثمة والشريرة شيوعيا معروفا ، تامرك فيما بعد ، اسمه " العفيف الأخضر " الذى كان من أولى مهامه عندما تولى وزارة التعليم العالى ، أن يقضى على الشريعة وعلومها فى جامعة الزيتونة العريقة وبقية جامعات تونس ، إرضاء لسادته الصليبيين المستعمرين واليهود النازيين الغزاة !

تونس السلطة البوليسية الفاشية ، تبذل كل جهودها ليرضى عنها سادتها الصليبيون واليهود ، فتعمل على مطاردة الإسلام والمسلمين ، وقد امتلأت سجونها ومعتقلاتها بالمظلومين ، وفى المهاجر الأوروبية والأميركية عشرات بل ألوف التونسيين المنفيين أو الهاربين من قبضة النظام الحديدية ، التى لا تعرف الله ولا تعرف الرحمة .. وقد امتدت يدها لتصل إلى الست " فلّة " .. بعد أن هيمنت على الست " تونس " !وبقي سؤال عن جمعيات المرأة عندنا المشغولة ليل نهار بتحرير المرأة كما تدعي : أين هذه الجمعيات من اضطهاد المرأة المسلمة في تونس ؟ أم إن الإسلام ممنوع من الاهتمام عند هذه الجمعيات ؟

***

اخلع إسلامك.. تعش آمنا؟!

لا مفر إذا من خلع الإسلام كي ترضى عنك السلطة ، وكتاب لاظوغلي ، واليسار المتأمرك ،وأهل الهوى ، وأصحاب البلد!

إذا لم تخلع إسلامك ، فيجب أن تدفع الثمن غاليا ..

إذا كنت أستاذا جامعيا ،فيمكن أن يلقى بك على " البرش" في أية لحظة ، وتحاكم أمام محكمة عسكرية ، ولو برأك القضاء المدني !

وإذا كنت صحفيا أو قاضيا ، وذهبت لتحرى الحقيقية ، أو التضامن مع المظلومين على سلم النقابة ، أو بوابة النادي ، فأنت معرض للضرب بالبيادة حتى تفقد الوعي ، ويسيل دمك ، ثم يقبض عليك في المستشفى ، وتلقى فوق "البرش" ، حتى يتم الإفراج عنك أو تقدم إلى محكمة عسكرية .

إذا كنت رجل أعمال ناجحا ، وتقيم مشروعات تخدم البلاد والعباد ، وتستوعب عشرات العمال الذين يعولون عشرات الأسر ، فأنت تقوم بعملية غسيل أموال ، وتدعم تنظيمات مسلحة ، ويجب أن تقدم إلى محكمة عسكرية ..

وستجد في كل الأحوال أبواقا مأجورة تتحدث عن مشروعية المحاكمة العسكرية للمدنيين بقلب بارد ودم بارد – اللهم اجعلهم يقعون في قبضة المحاكمة العسكرية كي يذوقوا مثلما يذوق الأبرياء .

إذا كنت ممن يرفضون ثقافة الاستعمار الأميركي ، والاستسلام للصهيونية ، فأنت رجعي وظلامي وإرهابي ، ويجب أن تمنع من الكتابة وتغلق دور النشر التي تسير على منهجك ،

ويشرد عمالها وموظفوها ، وتصادر أموالها وكتبها .. وخاصة إذا كنا على أبواب معرض الكتاب ..

وإذا كنت تصر على الإسلام دينا ودولة ، ورؤية وتطبيقا ، فأنت من المتخلفين الموالين للوهابية والسلفية والماضوية ، وضد العصر والاستنارة والمستقبل ، ومن واجب السلطة أن تقصيك ،وتعتم عليك ، وتستأصلك ..

لم أصدق ما قرأته ، أن هناك نفرا من بني جلدتنا يسعون لجمع توقيعات مليون شخص مصري ، لحذف المادة الثانية من الدستور المصري التي تقول إن الإسلام دين الدولة الرسمي ،وهو المصدر الرئيسي للتشريع ..

لم أصدق أن مصر تضم مليون معاد للإسلام ، وكاره له ، ورافض .. هل هؤلاء حقا من مصر المسلمة ، التي يدين سكانها جميعا بالإسلام عقيدة أو ثقافة ؟

رجل قروض طائفي متعصب ،يقترض من أموال المسلمين مليارات لشركاته ومؤسساته التي تبيع للمسلمين ، يطالب بإلغاء المادة الثانية من الدستور أو إضافة " المسيحية " مصدرا أساسيا للتشريع .. يا له من هوان ؟!

قناة تلفزيونية جديدة، تقدم نشرة الأخبار بالعامية المصرية ، وتصوغ برامجها من خلال لغة " الروشنة "، ويشيد كاتب سلطة بهذه القناة من خلال السخرية من المسلمين الأغبياء الذين لا يفهمون لغة العصر ، ولا يعيشون المستقبل ، ولا يفقهون معنى البرامج الشبابية الحية التي تخاطب جموع الشباب (ما الذي سيحصده كاتب السلطة من هذا الغزل الرخيص؟).

كاتب سلطة آخر ينتقد منظمة "حماس"الإسلامية ويسب خالد مشعل وإسماعيل هنية اللذين يقودان شعب فلسطين إلى الهلاك ويستدعى رفاقه الشيوعيين الموالين للصهيونية والأمير كان لتتوقف المذابح بين الفلسطينيين..(إسلام حماس لقمة في زور ه وزور الرفاق الذين يريدون التنازل عن فلسطين كي يستريح أشقاؤهم الصهاينة !!).

كتاب سلطة يفترض أنهم متخصصون في علوم الإسلام ، ينوحون على صفحات الصحف الحكومية ، ويحذرون من قيام " حكومة دينية "، وجعلوا الإسلام (كنيسة) ، وعلماءه (باباوات) لهم حق الغفران والحرمان ، والتدخل في شئون البشر .. وهم أي كتاب السلطة يعلمون ويدركون جيدا أن الإسلام على امتداد تاريخه لم يعرف ما يسمى الحكومة الدينية المزعومة . ولسبب ما سمى العلماء والباحثون عصر صدر الإسلام بالخلافة الراشدة ،أي الحكم الرشيد ، وما بعده سمى بأسماء الحكام وأسرهم ، لأنه لم يكن رشيدا في بعضه .. فكان عصر الراشدين قدوة ونموذجا لحكام يحاسبهم الناس ، ويراجعونهم ، ويناظرونهم ..

وكان بعضهم ينام على التراب ، ويرقع ثوبه ، ويتغير لونه نتيجة الطعام المتواضع الذي لا يجد غيره..

أولاد الاستنارة يتركون الدولة البوليسية الفاشية تحكم الناس بالحديد والنار ، وتلقيهم في السجون ، وتقدمهم لمحاكمات عسكرية .. ويعزفون على أنغام الدولة الدينية التي ستقطع رقاب الناس ، وتفرض عليهم الجزية ، ويتناسون الدولة البوليسية الفاشية التي تهجم على البيوت الآمنة في جوف الليل ، وتأخذهم إلى ما وراء الشمس ، لأنهم مسلمون ، وتسرق أموالهم ، وتلقى بهم إلى المجهول ، فتيتم أولادهم وهم أحياء ، وترمل نساءهم قبل أن يذهبوا إلى القبور ،وتجوعهم وهم يملكون أموالا لا يستطيعون الوصول إليها ، لأن الحكومة المستنيرة تسيطر عليها ، وتضعها في خزائنها !

معزوفة الدولة الدينية ومخاطرها ، لا تتوقف لدرجة أن يقف منافق في بعض المجالس ويطالب بنفي هذا الشخص أو ذاك ، لأنه ينوى أن يشكل حزبا ذا مرجعية دينية إسلامية ، أما إن كان ذا مرجعية دينية غير إسلامية – وهو قائم بالفعل – فأهلا به ومرحبا ، انطلاقا من فلسفة التنوير المتسامحة مع كل الأديان والفلسفات والأفكار ؛عدا الإسلام الذي صار أخطر من المخدرات ، وصار معتنقوه أخطر على الأمن القومي من سفاح القدس المحتلة إيهود أولمرت الذي يعمل بجد ونشاط لهدم المسجد الأقصى ، وابتلاع ما تبقى من فلسطين ؛ بالقتل والضرب والتدمير والإذلال !

ألم أقل : اخلع الإسلام .. تعش آمنا ؟

الدولة البوليسية الفاشية لا تستطيع أن تقبض على شخص (غير مسلم) في جوف الليل أو وضح النهار !

والدولة البوليسية الفاشية لا تستطيع أن تحول شخصا (غير مسلم)إلى محكمة عسكرية ولو كان جاسوسا ، أو يستعين بشارون لنصرته على بني قومه !

والدولة البوليسية الفاشية لا تستطيع أن تمارس التمييز العنصري مع الأقلية غير الإسلامية أو تهضم حقها ، ولكنها تميز بين الأكثرية تمييزا عنصريا .. فمن كان مسلما لا يستطيع – ما دام بعيدا عن رضا السلطة – أن يصل إلى المناصب العليا ، وليس من حقه الترشح في أية انتخابات قادمة ، بل ليس من حقه الانخراط في الجيش أو الشرطة أو الإعلام أو الخارجية أو النيابة أو القضاء .. بل إن مشاركته في الأندية الرياضية محرمة عليه !

يقولون لك : ألسنا مسلمين ؟ وأقول لهم طبعا .. أنتم مسلمون ، ولكن على الطريقة الأميركية .. والإسلام الأميركي يفهم الإسلام فهما كنسيا لا فهما حقيقيا ، ويجعل من الرائد "

موافي " وأشباهه يرون أن لا سياسة في الدين ولا دين في السياسة ، ويطلبون في الوقت نفسه من الشيخ والمفتي تسويغ قراراتهم وتصرفاتهم ضد الشعب والمجتمع.

باشكاتب الدولة يعلن أن مصر دولة علمانية ،وهو لا يدرى أن العلمانية تعني فصل الكنيسة عن الدولة ، ومصر ليس فيها كنيسة بالمعنى الغربي . والكنيسة الموجودة في مصر تدمن اللعب بالسياسة في كل الأوقات ولا يستطيع هو أو غيره أن يفصل بينها وبين السياسة .. ولكن السياسة محرمة على المسلمين ، ومن يقترب منها فعليه مواجهة المحاكم العسكرية ؟!

ألم أقل : اخلع إسلامك ..تعش آمنا، وتفتح لك الأبواب ، وتتحول إلى ملياردير ، ولو كنت طبال درامز ، أو مجرد هتيف في المسيرات ، أو ضابطا سابقا في فن السيطرة ؟

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم!

***

مخاطر الدولة البوليسية

يخطئ مثقفو الحظيرة كثيرا ؛ إذا ظنوا أن حديثهم المفتعل عن الدولة الدينية الموهومة أو المتوهمة سيجعل الناس في بر مصر يخلعون إسلامهم ، ويبادرون إلى التمسك بأهداب الدولة البوليسية الفاشية القائمة ، التي تملك نبوتا غليظا تهوي به على رءوس الفقراء والبسطاء والضعفاء ، وتفتح جيوبهم عنوة لتصادر ما فيها باسم الضرائب أو الجمارك أو الطوارئ أو غيرها .. وتحرمهم من الأمن والأمان لحساب اللصوص الكبار وبلطجية الفكر والسياسة والشارع !

يخطئ مثقفو الحظيرة كثيرا ، إذا تصوروا أن الكذب والتدليس والتشويش على صورة الإسلام الإنسانية ، ستدفع الجماهير إلى السير وراءهم ، والاقتداء بهم ، وتصديق أراجيفهم وأباطيلهم التي يتلونها ليل نهار ، في أجهزة إعلام وصحافة تمثل مدفعية ثقيلة ، تطال كل بيت وكل شخص .. أى كل المجتمع ، لسبب بسيط جدا ، وهو أن الدولة البوليسية الفاشية (ومثلها الدولة العسكرية) لا تعرف للإنسان كرامة ، ولا للوطن قيمة ، ولا للحق موضعا . إنها تحكم بالحديد والنار ؛ ولو تجملت بمجالس النفاق ، ومؤسسات الكذب ، ومثقفى الحظيرة ، وأصحاب البلد !

يخطئ مثقفو الحظيرة كثيرا ؛ إذا فكروا بالحق أو بالباطل ، أن الدولة البوليسية الفاشية ، يمكن أن تكون دولة الحرية والعدل والمساواة والكرامة ، لأنها قامت على صناعة الخوف والرعب والجريمة والكذب . إنها دولة الفساد والإفساد والبغى في الأرض ..

لقد تمنيت أن يسأل مثقفو الحظيرة أنفسهم ،لماذا يتهافت الناس على إدخال أبنائهم كلية البوليس ، ويبيعون كل ما يملكون من أجل دفع الإتاوة المطلوبة ، كي يعلق " الابن " " الدبورة " على كتفيه ، وتفاخر أسرته أن لها " ضابطا " في البوليس يحميها ، وييسر لها أمورها ، ويمثل مركز قوة اجتماعيا في مواجهة الجيران والقرية والحي والمدينة ، وإن كان ذلك الحكم العام لا ينفي أن هناك " أبناء ناس " يحتفظون بشيء من القيم والأخلاق ؟

لن يسأل مثقفو الحظيرة أنفسهم هذا السؤال أبدا ، لأنهم ترس فى آلة النظام البوليسي الجهنمي الذي لا يعرف إلا السمع والطاعة والهتاف لأولياء النعم .

القوم مشغولون بتشويه الإسلام ، بل رفضه ..

تأمل مثلا ما يقوله بعضهم من أن قطع يد السارق جريمة وحشية بربرية ، لم تعد صالحة لهذا العصر ، ولن تجتث جريمة السرقة ..

ولا ندري بم نرد على أمثال هؤلاء الذين يفترض فيهم الوعي بالعقيدة والشريعة . لقد تناسوا تماما أن المسلمين لم يخترعوا هذه العقوبة ، ولم يفكروا بها من عندياتهم . إنها أمر إلهي ورد في القرآن الكريم من خلال الآية الكريمة : " والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله ، والله عزيز حكيم " (المائدة :٣٨) .

قطع اليد أمر إلهي ،وليس جريمة " وحشية بربرية " ، ويأتي عقابا عادلا ينزل على اللص الذي اغتصب ما ليس له .. وقد قنن الفقهاء والمشرعون منهج تطبيق هذه العقوبة .. وقد تشفع بعض الصحابة رضوان الله عليهم عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ليعفي امرأة من علية القوم من حد القطع ، ولكن الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – رفض هذه الشفاعة ، امتثالا لأمر ربه " والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما .." وقال قولته الشهيرة : " والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها " .. ومعنى ذلك أن حد السرقة ليس اجتهادا شخصيا من بعض المسلمين أو الجماعات ، ولكنه وحي سماوي ، لا مجال فيه للاجتهاد ..

وأتصور لو أن هذا الحد تم تطبيقه على اللصوص الكبار الذين يسرقون الدولة والناس جهارا نهارا ، وينزحون الملايين بل المليارات المسروقة إلى بنوك أوربة وأميركا التي تضع يدها في النهاية على هذه الأموال لأن أصحابها غالبا ؛ لايستطيعون الوصول إليها ، فسوف يفكرون ألف مرة قبل أن تمتد أيديهم إلى قرش حرام .. ثم أتصور لو أننا رأينا الكبار بيد احدة وهم سائرون أو جالسون أو واقفون !.. إنهم سيكونون عبرة لغيرهم وسيحافظ كل على يده لأنها أغلى من كل كنوز الأرض ، وسيشفي ذلك صدور الفقراء والمحرومين والجائعين الذين لا يجدون رغيفا في بعض الأحيان .. بينما اللصوص الكبار يستوردون بالأموال الحرام –

وفي ظل حماية الدولة البوليسية الفاشية – وجبات الغداء والعشاء الساخنة من مطاعم أوربة وفنادقها الفاخرة !

إن ترويع المجتمع ونهب أمواله في ظل الحماية البوليسية الفاشية ، يجعل قطع أيدي اللصوص الكبار جزاء عادلا ، ويعيد الأمن إلى الناس ، ويحفظ حقوقهم وأعراضهم ..

إن عدم تطبيق حد السرقة ، وخاصة فيما يتعلق بالأموال العامة التي ينهبها الكبار ، هو بعض مخاطر الدولة البوليسية الفاشية التي يتحدث باسمها مثقفو الحظيرة ..

ومن مخاطر الدولة البوليسية الفاشية تزوير الانتخابات ، وترويع الناخبين ، وإقامة المذابح للأبرياء ، وأوضح الأمثلة على ذلك ما حدث في الجزائر المسلمة ؛ فعندما فازت جبهة الإنقاذ الإسلامي في الانتخابات التشريعية عام ١٩٩٢م ، قام البوليس والعساكر بإقالة الرئيس الشاذلي بن جديد ، وألغوا نتائج الانتخابات ، وفرضوا الأحكام العرفية ، وقبضوا على عشرات الألوف من أعضاء الجبهة الإسلامية ، وعذبوهم في السجون الوحشية التي تقع جنوب الجزائر في الصحراء الإفريقية ، وهي من أسوأ المناطق لشدة حرارتها ، وتلوثها نتيجة التفجيرات النووية الفرنسية أيام الاحتلال الفرنسي للجزائر ، ثم قامت الدولة البوليسية العسكرية الفاشية في الجزائر بعمليات تطهير دموية في القرى والمدن الموالية لجبهة الإنقاذ ، وظهرت اعترافات بعض الجنود والضباط الذين استيقظ ضميرهم لتكشف عن عمليات الذبح التي كانت تطلب منهم بعد تناول المخدرات التي تجعلهم ينفذون أوامر الذبح دون تردد أو رحمة !

إن الحكومات البوليسية الفاشية تصنع العنف والعنف المضاد ردا على عنفها الآثم ، وقد عرف العالم العربي والإسلامي نماذج دموية وإجرامية ، من هذه الحكومات ، قادت بلادها إلى حافة الهاوية ، وقد رأينا الجلادين الذين قادوا رؤساءهم ومسئوليهم وبلادهم إلى أوضاع مأساوية ، بسب الاستبداد والفساد والقهر الذي لا يفرق بين الناس .

هل يمكن أن تسمع في دولة حرة أقوالا لجلادين ؛ مثل : الضرب في سويداء القلب ، وتثقيب الأجساد ، أو ترى أفعالا مثل خطف المعارضين من أحضان أبنائهم في جوف الليل ، ومصادرة أموالهم وتشويه السيرة وتلويث السمعة بوساطة المثقفين العملاء والكتاب الخونة ؟

إن مخاطر الدولة البوليسية الفاشية ، لا تتوقف عند حد ، ولا تنتهي عند مدى .. إنها شر دائم ، وإذلال مستمر لعامة المواطنين ، لأنها لا تعبأ بدستور ، ولا تحترم قانونا ، ولا تبقى على قيمة .

إن الدولة البوليسية الفاشية تنشر الضلال ، وتضطهد الرجل قبل المرأة ، وتجعل الجميع مصدرا للشر الذي يجب استئصاله بالقهر أو الإزاحة ، حتى تبقى على وجودها الظالم ، وهيكلها الآثم ، وفي الوقت نفسه تطأطئ رأسها أمام العالم الخارجي ، وتبلع إهاناته البالغة ،

وترضى بإذلالها في كل كبيرة وصغيرة ، ويكفي أن ترى صورة بشعة للهوان حين يقول مسئول في الدولة البوليسية الفاشية ردا على طلب بسحب السفير المصري من دولة تهين الأمة وتزري بكرامتها : إننا لن نسحب السفير إلا إذا قامت هذه الدول بغارة جوية علينا !!

نسى المسئول في الدولة البوليسية الفاشية أن لدولته جيشا يفترض أن يرد على الغارة الجوية ، ويؤدب المغيرين .. ولكنه منطق الهوان والمذلة أمام الخارج .

أسد على وفي الحروب نعامة ..

إن مخاطر الدولة البوليسية أكبر من أن تحصى في هذه المساحة المحدودة .. ومع ذلك يصر مثقفو الحظيرة على الصراخ والولولة من مخاطر الدولة الدينية المزعومة أو المتوهمة التي لم يعرفها الإسلام طوال تاريخه الطويل .

***

جنرالات الرعب والهزيمة !

مثقفو الحظيرة مشغولون بإهانة الإسلام وتشويهه ورفضه ، من خلال أحاديثهم الملفقة عما يُسمى بالدولة الدينية التى سيُقيمها الإسلاميون فى مصر ، لو وصلوا إلى الحكم !

وينسى مثقفو الحظيرة ، أن الدولة الدينية كانت فى الغرب الصليبى المتوحش ، حيث كانت الكنيسة تحكم الأمراء والعامة ، وتُعادى العلم وتحرق العلماء ، وتملك حق التبرئة والإدانة من خلال صكوك الغفران والحرمان .. والإسلام ليس فيه كنيسة .

فيه مسجد فقط ، يجتمع فيه الناس لأداء الصلاة ، يتقدمهم شخص بسيط ، قد يكون أفقرهم أو أقلهم منزلة ، وكل مسلم مسئول عن نفسه ، لا أحد يتوسط بينه وبين خالقه " وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا " (الإسراء ١٣-١٤) .

مثقفو الحظيرة ، وبعضهم لا يُصلى ولا يصوم ولا يحج ولا يُعطى الزكاة ، وبعضهم لا يفيق من الخمر ، والبعض الآخر لا يتورع عن اقتراف الفواحش ؛ يجدون فى أنفسهم الجرأة للفتيا فى أمور الإسلام ، والحكم على تشريعاته بعدم الصلاحية فى عصر الذل والهوان والتبعية للأعداء ، مثل ذلك الذى قال : إن حدّ السرقة يمثل الوحشية البربرية ولا يُلائم زماننا ، أو ذلك الذى قال : إن الإسلاميين يذبحون الناس ، ويستبيحون الأموال والأعراض ، على طريقة عادل إمام فى أفلامه عن الإرهاب ، التى لا تقوم على منطق من الفن أو الواقع .

مثقفو الحظيرة تحوّلوا إلى جنرالات ، ويشبهون الجنرالات الذين يحكمون البلد ، ويرسمون خطاها ، ويبثون الرعب فى قلوب الشرفاء ، ويقودون الوطن إلى هزيمة محققة : حضارياً

وعسكرياً وإنسانياً .. هؤلاء الجنرالات الذين يشكلون عصب الدولة البوليسية الفاشية ، لم يتوقف وجودهم عند أجهزة الأمن وحدها ، والموانئ والمطارات والأحوال المدنية .. وغيرها ، ولكنهم تسللوا إلى شرايين المجتمع وجروا فيه مجرى الدم فى الجسم البشرى ..

إنهم موجودون فى الحكومة بوصفهم وزراء يقودون الحياة المدنية فى مجالات هى أبعد ما تكون عن تخصصاتهم وخبراتهم . مهمتهم هى الأمر والنهى والولاء للنظام البوليسى الفاشى . ومن كان فى الأصل مدنياً وصار وزيراً ، فإن كبار مساعديه يُعيّنون من الجنرالات الذين تصير بيدهم مفاتيح الأمور كلها . وزير الثقافة له مدير مكتب برتبة جنرال ، يفوق فى سلطاته وقدراته ومشيئته أمين المجلس الأعلى للثقافة ورئيس قصور الثقافة ورئيس الأوبرا ورئيس دار الكتب . بل إن هيئة الكتاب المصرية التابعة لوزير الثقافة يقودها جنرال أيضاً ، وينافس الوزير فى صلاحياته .

وزير الإعلام ، له مساعد برتبة جنرال يقود عصب وزارته وهو اتحاد الإذاعة والتلفزيون ، ويتحكم فى جموع الأفراد الذين يُشكّلون بنيان الوزارة .

وزارة التعليم العالى ووزارة التربية ووزارة الأوقاف ووزارة الطيران ووزارة الحكم المحلى ، تخضع خضوعاً كاملاً لجنرالات الداخلية ، أو وزراؤها أنفسهم جنرالات .

الوزارات الأخرى منسوبة بصلة إلى الجنرالات تبعية أو خضوعاً أو تقديم تقارير أمنية للجنرالات .

معظم المحافظين ، يتقدم أسماءهم لقب سيادة اللواء المحافظ ، وكثير من رؤساء المدن والأحياء يسبق أسمائهم رتبة سيادة اللواء .

جهاز محمو الأمية يقوده لواء ، وكثير من رؤساء المصالح ومديرى الهيئات ينتسبون إلى رتبة الجنرال .

الدولة البوليسية الفاشية التى تحكم بالأحكام العرفية طيلة نصف قرن أو يزيد لا تسترعى انتباه مثقفى الحظيرة ، ولا تُقلق بالهم ، ولا تؤرق ضمائرهم ، حتى لو استباحت أمن الشرفاء ، واختطفتهم فى جوف الليل من أحضان أبنائهم وصادرت أموالهم ، وقدمتهم لمحاكمات عسكرية بعد أن برأهم القضاء المدنى .

لقد جعلت من التجسس على المواطنين ومراقبة هواتفهم ورسائلهم وسيرهم وسلوكهم ، أمراً طبيعياً ، لا يوجب الشكوى ، ومن يشكو فعليه أن يخبط دماغه فى أقرب حائط !

المضحك أن الدولة البوليسية الفاشية لم تكتف بالهيمنة على السلطة التنفيذية بل امتدت إلى السلطة التشريعية ، وقد لوحظ أن عدداً كبيراً من الجنرالات دخلوا إلى مجلسى الشعب والشورى ، ومهمتهم تتركز فى إسكات المعارضة بالعنف اللفظى والمعنوى ، حتى وصل الأمر أن يتهم واحد منهم المعارضة الإسلامية المتمثلة فى جماعة الإخوان بأنها وراء " سفاح

المعادى " ، ولم يخجل من تقصير الجهاز الأمنى فى القبض على هذا السفاح ، مع مرور وقت طويل على بدء جرائمه المستمرة ! كما لوحظ أن عدداً كبيراً منهم أخذوا يتجهون إلى القضاء الواقف (المحاماة) الذى يمثل الجناح الثانى للسلطة القضائية (القضاء الجالس) . وقد يملك بعضهم القدرة والموهبة فى القيام بواجب المحاماة .. ولكن المجتمع يرى أن السلطة البوليسية هى قدرته وموهبته !

إن الدولة البوليسية الفاشية تبث الرعب فى قلوب المواطنين ، وتدفعهم دفعاً إلى الإنسحاب من الحياة الاجتماعية ، لصالح العزلة والانزواء والانطواء ، وما يتبع ذلك من نفاق ومداهنة للسلطات ، وتراضخ أمام إدارتها ، والتسليم لها ، كى تفعل ما تريد بالمجتمع حاضراً ومستقبلاً .

والدولة البوليسية الفاشية لا يعنيها أمن المواطن بقدر ما يعنيها أمنها الخاص ، ولذا تنكل بالمعارضة الجادة ، وتبث الانقسام فى صفوفها ، وتحقق أغراضها عن طريق الترهيب والترغيب ، وهو مايؤدى إلى فساد الحياة السياسية بصفة عامة ، والحياة الاجتماعية بصفة خاصة .

وإذا عرفنا أن فساد الحياة السياسية والاجتماعية يعنى فساداً عاماً فلنا أن نتوقع هزيمة ساحقة للمجتمع فى شتى مجالات الحياة : حضارياً وإنسانيا واقتصاديا وعسكريا.

إن الخوف لا ينتج إلا هزيمة ، والرعب لا ينتج إلا موتا ، والدولة البوليسية لا تُجيد غير صناعة الخوف والرعب والهزيمة والموت .

أين هذا من دولة الإسلام التى تؤمن بالحرية والعدل والشورى والمساواة وترفض التمييز العنصرى والطائفى والطبقى والفئوى والمهنى ؟

دولة الإسلام التى تعلى من إنسانية الإنسان ، وتحقق له الحرية وتمنحه الأمل ، يُدلّس عليها مثقفو الحظيرة ، فينسبونها إلى الدولة الدينية التى صنعتها الكنيسة ويتناسون أن الدولة البوليسية الفاشية ، من خلال الرعب والهزيمة ، تصنع أجيالاً من العبيد الذين لا يعرفون معنى الإبداع ولا ينهضون للدفاع عن الأوطان .. وتلك هى الخسارة العظمى التى لا يُبالى بها هؤلاء .

العبد ولاؤه لسيده . أما الحر فولاؤه لدينه ووطنه وأمته . العبد يفعل ما يريده السيّد وفى مواجهته وإذا ما أدار ظهره فإن العبد ينكص على عقبيه ويتخلى عن ولائه . أما الحرّ فإنه يعمل حبّا فى خالقه الذى لا يراه ولكنه يحسه ، وحبّاً لوطنه وأمته لأنه مأمور بحبهما الذى هو جزء من محبته لله .

وهذا هو الفارق بيننا وبين أعدائنا .. هم فيما بينهم أحرار ، ونحن فيما بيننا عبيد . بأسهم علينا شديد ، وبأسنا عليهم برد وسلام ، لأن بأسنا بيننا شديد ورهيب وخطير .. هم

ينتصـرون ، ونحـن ننهـزم .. وتلـك سـنة الله فـى خلقـه : الأحـرار – أيـا كانـت ملـتهم – ينتصرون . والعبيد – أيا كان دينهم – مهزومون ، ودولة البوليس الفاشية هى دولة العبيد الذين يعيشون الرعب والهزيمة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

***

الأكثرية المضطهدة ..
والمادة الثانية

رضى الله عن المستشار طارق البشرى ، فقد ملك من الصبر الجميل مالا طاقة لأحد به ، وراح بالهدوء وطول البال الذى يُميّزه قاضياً وحكماً ، يُعالج مشكلة الأكثرية المضطهدة من قبل الأقلية ذات الأنياب والمخالب ، بالمنطق والبرهان والدليل والحجة ، ويقول للذين اشتدّ سعارهم فى مواجهة الإسلام ، والمطالبة بإلغاء المادة الثانية من الدستور التى تنصّ على إسلامية الدولة وعروبة لغتها بقوله : من المهم أن تتداخل المفاهيم الطيبة بعضها فى بعض ، مثل الدين والمواطنة ، لا أن تتصارع ويقف بعضها دون بعض . ويرد على الذين يُريدون تعديل المادة ، بما يعزل الإسلام عن طبيعته المرجعية ، بأن التعديل يُثير حفيظة ويعمق جرحاً ، ويُقيم تناقضاً على المدى الطويل ، تناقضاً ليس بين المسلمين والمسيحيين من المواطنين ، ولكنه تناقض بين مبدأ المرجعية الإسلامية ، واللادينية السياسية ، ثم يذكر القوم فى غمرة استبدادهم وتربصهم وانتهازيتهم الرخيصة ، أن النص على إسلامية الدولة استمر منذ دستور ١٩٢٣ حتى اليوم باستثناء دستور دولة الوحدة عام ١٩٥٨ المنقوص الذى زال بانفصال ١٩٦١ ، ويُشير إلى أن دستور ١٩٢٣ وضعته لجنة من ثلاثين شخصية من كبار رجال الوطن ، من بينهم خمسة من غير المسلمين ، وافقوا بالإجماع على قبول اقتراحه بالنص على أن دين الدولة الإسلام ، وهو ما تبعته موافقة إجماعية من الهيئات الأخرى التى أقرت ما اتفقت عليه لجنة الدستور التى رأسها حسين رشدى باشا ..

ومصر ليست بدعاً فى النص على ذكر دينها فى الدستور ، فمعظم الدول الأوربية تنص على المذهب ، وليس الدين فحسب ، بل تتجاوز ذلك إلى تشكيل المجالس الوطنية وتنصيب الرؤساء والملوك ، بحيث لا يجوز لغير صاحب المذهب الذى تتبعه الدولة الأوروبية أن يتولى الحكم أو يجلس فى صفوف النواب .

وقد ذكّرنا الدكتور خالد القاضى (رئيس محكمة وعضو قطاع التشريع) فى الأهرام = ٢٣ / ٢ / ٢٠٠٧م بما تضمنته دساتير بعض الدول الأوربية على النحو التالى :

١- اليونان : المادة الأولى فى دستورها تنص على أن : المذهب الرسمى لأمة اليونان هو مذهب الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية والمادة ٤٧ تقرر أن : كل من يعتلى عرش اليونان يجب أن يكون من أتباع الكنيسة الإرثوذكسية الشرقية .

٢- الدنمارك : المادة الأولى بند رقم ٥ : أن يكون الملك من أتباع الكنيسة الإنجيلية اللوثرية .

المادة الأولى بند رقم ٣ : أن الكنيسة الإنجيلية اللوثرية هى الكنيسة المعترف بها فى الدنمارك .

٣- إسبانيا : المادة التاسعة : يجب أن يكون رئيس الدولة من رعايا الكنيسة الكاثوليكية .

المادة السادسة : على الدولة رسمياً حماية اعتناق وممارسة شعائر المذهب الكاثوليكى بوصفه المذهب الرسمى لها .

٤- السويد : المادة الرابعة : يجب أن يكون الملك من أتباع المذهب الإنجيلى الخالص .. وكذلك أعضاء المجلس الوطنى .

٥- إنجلترا : المادة الثالثة من قانون التسوية : على كل شخص يتولى الملك أن يكون من رعايا كنيسة إنجلترا ، ولا يسمح بتاتا لغير المسيحيين ، ولا لغير البروتستانتيين أن يكونوا أعضاء فى مجلس اللوردات .

وإذا كانت بعض الدساتير الأوروبية تنص على علمانية الدولة ، وعلى المساواة بين المواطنين جميعاً على اختلاف أعراقهم وألوانهم ومعتقداتهم ، فإن الواقع غير ذلك ؛ حيث إن كثيراً من المؤسسات الطبية والتعليمية والثقافية تشرف عليها المؤسسة الكنسية . وتوفر الدولة العلمانية التعليم المسيحى وتشرف عليه وإن لم تجعله إجبارياً .

وقد توصلت الأبحاث إلى أن المواد الدينية المذاعة فى التلفزيون الإيطالى تمثل من ٩٦% إلى ٩٩% بالنسبة للديانة المسيحية ، والباقى للديانتين : الإسلامية واليهودية .

ولا شك أن النظام البوليسى الفاشى في مصر ، هو الذى شجع على تلك الهجمة الشرسة التى تشنها أبواقه من سلالة (هنرى كوريل) واليسار المتأمرك ، ومثقفى الحظيرة ، فضلاً عن خلفاء المعلم يعقوب الذين توقّحوا وأعلنوا أنهم أصحاب البلد ، ضد إسلام الدولة وهويتها ، وراحوا يكذبون ويُدلّسون ويتحدّثون عما يُسمى الدولة الدينية التى لا وجود لها فى ماضى الإسلام ولا حاضره ولا مستقبله ، وبعضهم يتواقح ويُسمى الإسلام بالأصولية الغيبية أو غبار الميتافزيقيا ..

ثم يهيجون فى إيقاع واحد على نغمات ما يُسمى " المواطنة " ، وكأنها اختراع جديد جاءوا به من بلاد التنوير إلى بلاد الإظلام – كما يُسمّون الإسلام ، ويتناسون أن الإسلام هو أول من كرم الإنسان – أيا كان – ونزل فى ذلك قرآن يُتلى ويُتعبد به : " ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا " (الإسراء : ٧٠) .

ومن المفارقات التى تُثير الضحك فى زمن البكاء والهوان أن يردّ مثقفو الحظيرة ، وخدام الأجندة الأمريكية بعض الحوادث المفتعلة إلى ما يُسمى الدولة الدينية ، وإهدارها للإبداع والفكر والثقافة ..

وقد فا جأتنا فى الأيام الماضية " نوال السعداوى " بأن الظلاميين أهدروا دمها ، وأن الدولة الدينية (!!) تطاردها وستحاكمها ، وتتحدث ابنتها عن " القرف " الذى تُسببه لها الدولة الدينية المزعومة ويُعكر مزاجها الرائق الصافى .

وتترى الأنباء عن هروب نوال ، ثم تنفى الهروب ، والإعلان عن استضافتها لدى " أهل التنوير " فى الغرب لتحضر مؤتمراً وتُلقى محاضرات ونسمع عن اتهام الأزهر بأنه يُريد رقبتها ورقبة ابنتها وأهل الإبداع جميعاً .. ويتصايح الشيوعيون القدامى والجدد ، والمتأمركون واللاظوغليون ، فضلاً عن أصحاب البلد : الحقونا ياخلق هو .. الظلاميون سيدمرون كل شيء !

ويتمخض كل ذلك عن " لا شيء" .. فلا الأزهر أشار إلى نوال ، ولا صادر شيئاً مما كتبته ، ولا علم لديه بهذه المرأة أو ابنتها أو أى أحد آخر !

ثم نسمع عن ولد آخر ، كان أزهرياً ، وأعلن إلحاده وكفره .. هو الذى أعلن ولم يُكفره أحد ، وسبّ رئيس الدولة ، وقدمته الجهات المختصة إلى القضاء العادى ، الذى حكم عليه بالسجن عدة سنوات لارتكابه جرائم نصّ عليها القانون .

وتبدأ " المندبة " لأن الدولة الدينية (!!) حاكمته وعاقبته !

وينسى القوم فى خضم هياجهم وتهييجهم أن المتدينين هم الذين يُحاكمون أمام محاكم عسكرية بالعشرات ، ويضيق عليهم فى الحل والترحال ، ويُلاحقون فى كل مكان ، وينتزعون من أحضان أبنائهم وأسرهم وتُصادر أموالهم وتُغلق شركاتهم ومكاتبهم .. ولا يستطيعون التعبير عن أفكارهم ورؤاهم كما يُعبر تلامذة " هنرى كورييل " وخدام أمريكا واليهود !

أما الذين يشعرون ب " القرف " من الدولة الدينية المزعومة (!!!) فتُفتح أمامهم الأبواب ، وتُغدق عليهم الهدايا والعطايا ، حتى لو افتعلوا معارك وهمية ، وادعوا ادعاءات ما أنزل الله بها من سلطان للبقاء فى ساحة الدعاية والشهرة ، ولو كان ذلك على حساب الحق والحقيقة !

ثم إن هؤلاء القوم يُصرّون على مغازلة " الأقلية " ذات الأنياب والمخالب ، ولو كان الثمن إلغاء الإسلام ، واستئصاله من الواقع والوجود ، باسم المواطنة والدولة المدنية والتنوير والعلمانية وأحفاد الفراعنة العظام .. ومن المؤكد أنهم لم ينتبهوا ، بل تغافلوا عن حقوق الأكثرية المضطهدة من المسلمين والنصارى ، الذين يعيشون القهر والأحكام العرفية ، ويحيون البؤس والفقر والعذاب فى خضم الأغذية المسرطنة والدم الملوث والغرق فى العبّارات والموت فى القطارات والمعاناة من انفلونزا الطيور والمياه الملوثة والمساكن المزدحمة والبيوت الآيلة للسقوط والأيام الصعبة بالغلاء والهوان والمرض .

تمنيت أن ينشغل القوم بشيء آخر غير استئصال الإسلام ، والانتباه إلى قضايا تعنى الناس مباشرة ، ويكشفوا عن قدراتهم ومواهبهم فى معالجة الأزمات والصعوبات والتحديات . ولكنهم كما قال لهم أصحاب " الأوراق الخضراء " التى تحمل آية من الإنجيل ، يجب أن تحاربوا الإسلام ، خاصة بعد أن هان الإسلام على الدولة التى يعدّها المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها " عقل الإسلام " ، وضعفت أمام من يزعمون أنهم " أصحاب البلد " ويستقوون بدولة الدولار والعار ، ويظنون أنها ستحميهم ، وتحقق لهم تحرير الإسكندرية من " المسلمين الغزاة " ، كما حررت لهم " جوبا " فى جنوب السودان !

وياله من عار ، أن تنتظر الأكثرية رضا " الأنبا شنودة " لتبقى المادة الثانية من الدستور ، ويضعون أياديهم على قلوبهم إذا أعلن رفضه ..

ويا أيتها الأكثرية المضطهدة .. عليك بالصبر الجميل حتى يقضى الله أمراً كان مفعولا.

***

تأبيد الشمولية ..
وتحصين البوليسية !

فى ظل " الهوجة " التى صنعها خُدّام النظام البوليسى الفاشى حول " المادة الثانية " من الدستور ، نسى البعض الغرض الحقيقى مما يُسمى التعديلات الدستورية .

وهذه " الهوجة " تدلا دلالة قاطعة على أن خُدّام النظام البوليسى الفاشى من سلالة " هنرى كورييل " واليسار المتأمرك ، والطائفيين المتعصبين فى الداخل والخارج ، يكرهون الإسلام والعرب أشدّ ما تكون الكراهية ، وعلى استعداد لفعل الشىء ونقيضه طالما هناك من يدفع ومن يُكافئ ، حتى لو كانت المكافأة رخيصة ومتدنية ، مثل عضوية مجلس الشورى ، أو الظهور فى برامج النفاق والكذب التى يُذيعها تلفزيون النظام .

لقد دلّ البيان الذى أصدره مائة من خدّام النظام ضد الإسلام والحرية ، على ما يتمتع به هؤلاء الخدام من قدرة على الكذب والتدليس ومغازلة من يُسمّون أنفسهم – توقحاً وخيانة – أصحاب البلد وأحفاد الفراعنة العظام !

لقد تركوا أخطر ما طرحته التعديلات الدستورية فى مجال استعباد الشعب المصرى وقهره وإذلاله وحكمه بالحديد والنار .. واتجهوا لاستئصال الإسلام واللغة العربية من دستور البلاد ، وراحوا يُشهّرون بالرئيس الأسبق " أنور السادات " ، وزعموا أنه وضع المادة الثانية نظير الموافقة على استمرار حكمه إلى الأبد من خلال المادة ٧٧ . ومن المفارقات أن هؤلاء الخدام ، لم يتناولوا المادة ٧٧ ، ولم يتكلموا عنها ، مما يؤكد أنهم ضالعون فى مؤامرة التوريث أو تأبيد الحكم الاستبدادى الشمولى إلى الأبد .

ومن الواضح لكل ذى عينين أن دعاوى الشيوعيين والعلمانيين عن الحرية والعدالة الاجتماعية وحقوق الكادحين ، قد سقطت على مذبح " الخدامة " للنظام البوليسى الفاشى ، وعطاياه التى لا تُنكر ولا يستطيع أن يُخفيها أحد . وها نحن نراهم يُحرّكون أبواق الدولة للإجهاز على الإسلام الذى يمثل من منظورهم خطراً على الأمن القومى (!) وظلامية ورجعية وتخلفا وعودة إلى القرون الوسطى فى أوربة ودولة دينية تفتش فى ضمائر الناس ..

والمضحك فى المسألة ان بعض كتّاب المسلسلات والأغانى ، انضموا إلى الزفة الرخيصة فى حملتهم على الإسلام ، ووقفوا إلى جانب كتاب الختان وغشاء البكارة والعادة السرية ومحررى صحافة العوالم والغوازى وغانيات المجتمع ، فى الحملة على الإسلام وقيمه

ومبادئه ومنهجه ، وظنوا – مع خدم السلطة البوليسية الفاشية – أن الشعب المصرى يمكن أن يتسامح معهم ، ويُفرط بسهولة فى دينه وأخلاقه وتراثه إرضاءً لهم ولسادتهم ، وما دروا أن المصريين منذ فجر التاريخ ، لا ينتفضون إلا من أجل الدين والوطن ولقمة العيش .. ولكن هيهات أن يدرك ذلك خدام النظام وسدنته والواقفون على أعتابهم .

كنت أتصوّر أن يكون بيان المائة شيوعى وعلمانى متجها نحو غاية أكبر وأعظم ، وهى إطلاق سراح المظلومين فى سجون النظام ، والمعتقلين تحت اسوأ الظروف منذ ربع قرن من الزمان ، ولا يستجيب النظام البوليسى الفاشى لأحكام القضاء بإطلاق سراحهم وتركهم أحراراً يُمارسون حياتهم الطبيعية وسط أهليهم وذويهم ، وكنت أتصوّر أن يصدر الشيوعيون والعلمانيون ، بياناً يرفض اللصوصية العلنية التى تسرق الشعب جهاراًُ نهاراً فى ظل الاحتكار والقانون ، وكنت أتصوّر أن ينحاز الشيوعيون والعلمانيون إلى الشعب وحريته وحقه فى نظام يُعبّر عن إرادة أبنائه ، ويُحقق الحرية ويشيع الأمل ، ويسعى لبناء وطن قوى لا تستذله القوى الكبرى ولا الدول الصغرى ..

ولكن أنى لهم ذلك ، وقد هيمنت عليهم كراهية الإسلام ، والجرى وراء الفتات الذى يُلقيه إليهم النظام البوليسى الفاشى ؟

لقد تركوا التعديلات الدستورية الهادفة إلى تأبيد الشمولية وتحصين البوليسية دستورياً من خلال المادتين ٨٨، ١٧٩ ، وراحوا يُطالبون باستئصال الإسلام دين الأغلبية الساحقة و الأقلية الضئيلة .. وزعموا أن الإسلام ينتقص من حقوق النصارى ويُميز بينهم ..

وعلم الله أنهم كذابون ومنافقون لأن الإسلام الذى يُكرم الإنسان – أيا كان – لا يمكن أن ينتقص حقوق الأقلية أو يُميز بينها .. ولكن النظام البوليسى الفاشى هو الذى يضطهد الأكثرية ويُحاصرها ، ويعتقل أبناءها فى جوف الليل ويُقدمهم إلى محاكمات عسكرية ، ويحرمهم من وظائف القضاء والنيابة والجامعة والصحافة والشرطة والجيش فضلاً عن المناصب العليا ، ولكنه لا يستطيع أن يفعل ذلك أبدا مع أفراد الأقلية غير المسلمة !

إن المادة ٨٨ تهدف فى الدستور الحالى إلى منع تزوير الانتخابات والإتيان بأعوان النظام من خلال الإشراف القضائى على صناديق الانتخابات (قاض لكل صندوق) ، ومع أن النظام قام بالتزوير العلنى الغشوم فى الانتخابات التشريعية الأخيرة ، فقد أفلت من قبضته أكثر من مائة نائب ، نجحوا رغما عنه ، بفضل الله ، ثم بتمسك القضاة بالنزاهة والضمير ، لذا فإن النظام حين يُعدّل المادة ٨٨ ، ويُلغى الإشراف القضائى على كل صندوق ، ويُشكل لجنة عامة على هواه وتأتمر بأمره ، فهو يهدف بوضوح سافر إلى التزوير العلنى فى الانتخابات ، ليأتى بمن يُنافقونه وينفذون إرادته ، ويُحاربون الإسلام والعروبة جميعاً ،

ويُطبّعون مع الأعداء ، ويقنتون للتبعية وقبول الذل على أيدى المستعمرين الصليبيين المتوحشين الجدد بقيادة الولايات المتحدة .

ثم إن تزوير الانتخابات المحصّن بالدستور ، وقدرته على تأسيس مجالس نيابية مستأنسة (تعدّ معينة) ، يُحقق غاية " التوريث " أو " تأبيد الاستبداد " إلى ما شاء الله ، وهذا ما يُعتم عليه الشيوعيون والعلمانيون أعداء الإسلام والعروبة بلا حياء ولا خجل !

أما المادة ١٧٩ التى تجعل فى تعديلاتها الجديدة " الأحكام العرفية " دستورية أبدية فهى تعنى أن اليد العليا بحكم الدستور ، ستكون للبوليسية الفاشية ، وأن أحداً لن يستطيع معارضتها أو الوقوف ضدها بالقانون .. لأنها محصّنة بالدستور الذى يُعدّ أبا القوانين !

إن وجود " حالة الطوارئ " ، مع أنه مرّ عليها نحو نصف قرن من الزمان ، يُمكن إلغاؤها فى لحظة ما وهو أمر وارد أو محتمل . أما قانون " الإرهاب " الذى ستتم صياغته وفقاً لتعديل المادة ١٧٩ ، فهو يعنى دستورية حالة الطوارئ ، واستمرارها إلى الأبد ، ويمكن لملازم تحت التدريب فى البوليس ، أن يدخل من يشاء – مهما علا مكانه – إلى الزنزانة المظلمة بدعوى الإرهاب أو الاشتباه فى الإرهاب ، وتستطيع السلطة البوليسية الفاشية أن تنتقم من خصومها بسهولة شديدة ، وبطريقة قانونية جداً ، وتحاكمهم عسكرياً – ولو كانوا مدنيين – وتقطع رقابهم أو تلقيهم فى السجون إلى الأبد ، دون أن يتمكنوا من الدفاع عن أنفسهم ، أو استئناف الأحكام الجائرة !

وكان مضحكاً أن يُدلّس علينا بعض المنافقين والخدم ، حين قالوا إن هناك اتفاقاً على ٣٢ مادة من بين ٣٤ مادة مطروحة للتعديلات .. ونسوا أن المادتين اللتين لم يتفق عليهما الناس هما المادة ٨٨ والمادة ١٧٩ اللتان تؤسسان لتأبيد الحكم الاستبدادى الشمولى ، وتحصين بوليسية النظام وفاشيته دستورياً (!) هما الهدف الرئيسى للتعديلات الدستورية المطروحة .

ومع ذلك يأتى الشيوعيون والعلمانيون ليُوقعوا على بيان يدعو إلى استئصال الإسلام من بلد الإسلام وعقله ، ويتجاهلوا ما يحمله التعديل الدستورى من تكريس للعبودية والإذلال ، والقهر والتبعية ، ويقولون إننا ندافع عن الأقلية ؟!

أرأيتم كذباً وتدليساً ووقاحة أكبر من ذلك ؟

هناك شيوعيون محترمون بلاشك ، وعلمانيون فضلاء بلا ريب .. وهؤلاء وأولئك لم يُشاركوا فى هذه اللعبة التى لا أجد لها وصفا غير الخيانة والعمالة .. إن المحترمين والفضلاء عرفوا أن النظام البوليسى الفاشى لا يمكن أن يمنح الشعب حريته ، وأن الحدأة لا يُمكن أن ترمى " كتاكيت " ، وأن الجهاد الحقيقى بالقانون والوسائل السلمية هو الطريق لانتزاع الحرية وبناء الشورى والعدل والمساواة والكرامة الإنسانية .

***

الدولة الدينية العتيدة !

يبدو أن المعركة بين الإ سلام وخصومه ، تعتمد فى جانب كبير منها على المصطلح . ذلك أن هؤلاء الخصوم يملكون سلاحاً قوياً وفعّالاً وهو سلاح الإعلام : تلفزة وصحافة وإذاعة ووسائط ثقافية متنوعة ، لذا يشعيون المصطلحات التى تخدم معركتهم ضد الإسلام ، وتدلس على كثير من الناس العاديين الذين يعدّون الكلمة المطبوعة أو المذاعة شبه مقدسة لا تقبل التكذيب ولا المناقشة ..

كان من بين هذه المصطلحات مصطلح " الدولة الدينية " مرادفاً للدولة الإسلامية ، ومصطلح الدولة المدنية مرادفاً " للدولة العلمانية " ومصطلح " الاستنارة " مرادفاً " للتسامح " ، ومصطلح " الحداثة " مرادفاً " للتقدم " ..

والحق أن هنالك فروقاً دقيقة ومهمة تفصل بين هذه المترادفات ، ولا تجعلها متقاربة أبداً أو ذات جذر مشترك على الأقل ، كما يفترض علماء اللغة والبلاغة فيما يعرف بالترادف ، وإن كان بعضهم لا يعترف به أصلاً ، ويرى أن كل لفظ فى اللغة له دلالة مختلفة عن الآخر ، ولا يرادفه ؛ أى لا يشاكله فى المعنى كليا أو جزئيا .

" الدولة الدينية " أو الثيوقراطية " على سبيل المثال ، مصطلح وفد إلينا من أوربة ، حيث ساد الحكم الدينى أو الثيوقراطى فى العصور الوسطى ، وصار للكنيسة الحكم الأول والأخير فى قضايا السياسة والعلم والمجتمع ، لا ينقضه أحد ، ولا يلغيه غير الذين أصدروه .. والإسلام لم يعرف هذه الدولة أبداً ، إنه يعرف دولة يُسيّرها بشر يُصيبون ويخطئون، لا أحد منهم معصوم أو مقدس ، وتستطيع امرأة أن تراجع الخليفة أو الحاكم ، فيقول : أصابت امرأة وأخطأ عمر .. دولة الإسلام لا تعرف صكوك الغفران أو الحرمان " وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ، ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا . اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا " (الإسراء :١٣ - ١٤)

ودولة الإسلام تقوم على الشورى ، " وشاورهم فى الأمر ، فإذا عزمت فتوكل على الله .. " (آل عمران :١٥٩)

كما تتميز بالاعتماد على منهج العدل والإحسان والتكافل الاجتماعى " إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون " (النحل :٩٠)

وهى دولة لا تعيش فى الماضى إلا بقدر مافيه من قدوة حسنة ومثل رفيعة وأيام مضيئة ، ثم إنها مأمورة بالعيش فى المستقبل ، وأداته الأولى هى العمل الجاد المتقن الذى يشهد عليه الله والرسول والمؤمنون : " وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون . وستردون إلى عالم الغيب والشهادة ، فينبئكم بما كنتم تعملون " (التوبة : ١٠٥)

وإذا كان العمل أداة المستقبل ، فالعلم مضمون هذا العمل ، وكان العلماء هم صفوة المجتمع الإسلامى الذين يخشون ربهم بحكم ما وصلوا إليه من معرفة وثقافة " إنما يخشى الله من عباده العلماء .. " (فاطر :٢٨) .

الدولة الإسلامية دولة بشر يُصيبون ويُخطئون – كما سبق القول – وهم يعملون على هدى من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وإجماع الأمة . واجتهاد العلماء فيما يستجد من أمور الحياة والمجتمع ، هى دولة متحركة متطورة إلى الأمام ، مالم يتحكم فيها طاغية ، أو جبار ، يتخلى عن قيم الإسلام ومفاهيمه ، فتتعطل الحركة ويتوقف التطور ، وتصبح دولة الإسلام قصعة الأمم ، كما تنبأ البشير النذير – صلى الله عليه وسلم .

لذا نرفض أن يتحمل الإسلام مسئولية العجز والتخلف والتقهقر الحضارى ، فالذى يتحمل ذلك هم الطغاة الجبابرة الذين صادروا الحريات والسلام والمساواة والعدل والعلم والأمل والحلم أيضا .. وحين يسخر أحدهم ممن يُسمّيها بالعقول التى اعتادت الرتابة والسفر إلى الماضى ، ويتساءل ساخراً : هل نحن مثلاً نحتكر صناعة الدواء ، ونكتشف علاجات غير مسبوقة ؟! هل نحن الذين اخترعوا الكمبيوتر ، ونحتكر تكنولوجيا المعلومات ؟! هل ننتج المحاصيل الزراعية فى العالم ونسيطر على أسعارها فى الأسواق ؟! هل أصلا نأكل ما نزرع أم نستورد طعامنا من الخارج ؟! هل أبحاثنا العلمية تغزو الجامعات ونكاد نحتكر جوائز نوبل فى العلوم ؟ هل منتجاتنا الصناعية من الكثرة والجودة الكاسحة للمصانع الأخرى شرقاً وغرباً ؟! إلا إذا كان النقاب وتقصير الثوب وفتاوى الفضائيات وتفسيرات زغلول النجار إنجازات أو فتوحات علمية عظيمة تبين أننا اكتشفنا كل شىء قبل العالم كله ! هل قدمنا للعالم خلال ال ٥٠ سنة الماضية اختراعاً واحداً مفيداً ؟

ومع هذه السخرية التى تسند للإسلام – ظلماً وعدوانا – تخلفنا وعارنا ، فإننى أقول لصاحبها نعم اخترعنا أشياء كثيرة فى الخمسين عاما الماضية فى مقدمتها : قهر الشعب وإذلاله ، وجعل التمثال يعترف (نتيجة لاختراع التعذيب !) ، وانتخابات الخمس تسعات ، والصحافة القومية التى تساند الحاكم وتلعن معارضيه ، ورفع شأن " العوالم " وخفض قيمة " العلماء " ، وأزهى عصور الديمقراطية الذى يعتقل الناس فى جوف الليل ويُصادر أموالهم ويُقدمهم للمحاكمات العسكرية .. هذه بعض اختراعات حكومات أمتنا التى لا ترتدى عمامة ، ولا تطلق لحية ، ولا تغطى وجهها بالنقاب ، ولا تلبس ثوباً قصيراً .. هذه هى الحكومات "

المدنية " كما يُسميها " مثقفو الحظيرة " ، وهى حكومات بوليسية فاشية ، كل مهمتها تغيير الخطاب الدينى (الإسلامى وحده) – أى تغيير الإسلام وثوابته !

وفى الوقت نفسه ، فإن دولة دينية عتيدة ، تقوم على الدين وتتحرك به وتحكم بتشريعاته ، وتبتكر وتخترع وتتقدم وتتطور وتحارب وتنتصر ، أعنى دولة الغزو النازى اليهودى فى فلسطين المحتلة؛ هذه الدولة لا يستنكر أحد قيامها على أساس من الدين ، ولا يُحاربها أحد من المنتمين إليها ، ولو كان يساريا أو علمانيا أو ملحداً ، لأن اليهودية عندهم مقدسة ومصونة ، ولا يمكن أن يُلصقوا بها تخلفاً أو تراجعاً ، أو يسخروا من حاخاماتها ورجال دينها .. فهؤلاء الحاخامات يسيرون كل شئ فى الدولة بآرائهم وأفكارهم وتوراتهم وتلمودهم ونبوءاتهم المزعومة ، بدءًا من جيش الدفاع الذى يُحقق لهم الانتصارات ، ويقتل الفلسطينيين العرب وأسراهم ، حتى طعام الكوشير الذى يتناولونه ويحرصون عليه داخل الوطن الذى اغتصبوه أو خارجه .

لا يمكن أن تجد هجاء رخيصاً للدولة الدينية التى يخضع جميع أفرادها للحاخامات أو لليهودية بصفة عامة ، كما يحدث للإسلام من بعض المنتسبين إليه ، الذين يصورون دولته تصويراً قبيحاً ، فى الوقت الذى يُساندون فيه الدولة البوليسية الفاشية ، ويسكتون على جرائمها فى تغيير الدستور الذى صار يُحصّن البوليسية ويؤبد الاستبداد !

من المؤسف ، أن يُدلّس مثقفو الحظيرة وأشباههم على الإسلام ، ونظامه السياسى الذى يقوم على الحرية والعدل والشورى والمساواة ولا يُشيرون بكلمة إلى الاستبداد ونظامه الفاشى الذى حول الشعب إلى مجموعة من العبيد لا حول لهم ولا طول ، وجعل الدولة فى مؤخرة الأمم قوة وحضارة ووجوداً !

إن الدولة الدينية الغازية فى فلسطين المحتلة ، تتفوق باستمرار لأنها تحترم دينها وتبعث لغة ميتة منذ أربعة آلاف عام ، أما نحن فنتخلف باستمرار لأننا نهجو ديننا وشريعتنا ، ونخجل من لغتنا أعظم اللغات وأشرفها حيث نزل بها القرآن الكريم ، ثم نتمسك بالمعانى السلبية لما يُسمى الاستنارة والحداثة والدولة المدنية التى تسمى الدولة البوليسية الفاشية فى حقيقة الأمر !

متى يدرك القوم مخاطر الدولة البوليسية الفاشية؟

***

المخبر اليوم .. ومسجد الشيوعيين !

محمود أمين العالم ، على المستوى الإنسانى ، رجل مهذب مجامل ، يختلف عن بقية الشيوعيين الذين يتسمون – فى معظمهم – بالصلافة والنرجسية والادعاء بامتلاك الحقيقة المطلقة – وأتيح لى قبل سنوات أن أتعرف إليه فى مؤتمر بالمجلس الأعلى للثقافة أُقيم لمناقشة أفكار عراب الشيوعيين المصريين الراحل لويس عوض ، وأدبه وإنتاجه الثقافى . لقد لمست فى " العالم " صورة إنسانية نادراً ما تلقاها لدى الشيوعيين مما جعل اختلافنا فى الرأى حول " لويس عوض " لا يُفسد للود قضيّة .

وكان حديث الرجل لجريدة " المصرى اليوم " – التى سمّاها بعضهم هجاءً وحنقاً بالمخبر اليوم – مثيراً لعدد من التعليقات والآراء التى تفاوتت تأييداً ورفضاً وتآمراً (من جانب المصرى اليوم) .

ويعنينى فى هذا الحديث الذى نشرته الجريدة على مدى يومين (٣- ٤/٤ /٢٠٠٧م) ، ثم أعقبه تعليق من الجريدة نفسها فى ٦/٤/ ٢٠٠٧ م حول ملابسات الحوار الذى جرى مع الرجل ، بعض النقاط التى تخص وضع الحركة الشيوعية وعلاقتها بالإسلام والحركة الإسلامية .

ويعلم المتابعون للشأن السياسى والثقافى ، أن النظام يستعين بالشيوعيين فى حركته لعزل الإسلام ، واستئصاله من الثقافة القومية ، وخاصة منذ تولى الوزير الحالى للثقافة الذى جوبه برفض شبه إجماعى من المثقفين غير الشيوعيين ، فكان أن استخدم أسلوب الترغيب أو الإغراء ، وذهب إلى عبد الرحمن الشرقاوى – رحمه الله – وكان رافضاً له فى بداية الأمر ، ووعده بتقديم مسرحيته " الحسين ثائراً .. الحسين شهيداً " على المسرح القومى ، وبدأ بقية الشيوعيين فى دخول حظيرة الوزير ، وهيمنوا على مؤسسات الوزارة جميعاً ، وغنموا العطايا والهدايا والجوائز والنشر والمؤتمرات والندوات ، وقاموا بدور أساسى فى الحرب على الإسلام من خلال ما يُسمى بمواجهة التطرف والإرهاب والدعوة إلى التنوير والتقدم والحداثة .وقد قام الشيوعيون في الإعلام والصحافة والتعليم بالدور الذي قاموا به في المجال الثقافي.

وكان محمود أمين العالم بعد عودته من باريس عقب مقتل السادات ، حيث كان يُدرّس مع آخرين فى جامعة باريس الثالثة، فى مقدمة الشيوعيين ممن تصدّروا المشهد الثقافى ، ليعمقوا كراهية الإسلام فى القلوب والصدور بوصفه مصدراً للعنف والإرهاب والتطرف وعدم التسامح وإثارة الفتنة والتعصّب ، وإن لم يشارك بكلامه مباشرة .

إذا السلطة تعلم جيداً طبيعة الحزب الشيوعى السرّى الذى كشف عنه الأستاذ العالم ، لأنها استخدمت هذا الحزب فى مواجهة الإسلام ، وهى متأكدة بما لايدع مجالاً للشك أن هذا الحزب لا يُنادى بالماركسية التى كانت ، بل يدعو إلى الماركسية التى تأمركت ، مما يعنى أنها فى حماية أمريكا ، وأنه لا خوف عليها من اعتقال أو محاكمات عسكرية ، حتى لو زعم

" العالم " أن أسماء أعضاء الحزب وقيادته سرّ لا يستطيع البوح به ، وأنهم موجودون من أسوان إلى الاسكندرية ، فهذا ذكاء منه ، وإجابة دبلوماسية تخدم هدفه فى الظهور بمظهر المناضل الشجاع الذى لا يهاب السلطة ، كما يوحى للناس أن عدد الشيوعيين ضخم ، والشيوعيون بالفعل موجودون بين أسوان والإسكندرية ، فشارع كريم الدولة موجود بالفعل بين المدينتين الحدوديتين !

ولأن الصحفية التى كانت تحاور محمود أمين العالم – فيما يبدو – لا تعلم شيئاً عن الشيوعية ولا الشيوعيين المصريين وأساليبهم ، فقد سألته عن كيفية الترويج لأفكارهم إعلامياً . وأجابها الرجل بأن الترويج يتم عن طريق (مفكرينا ومثقفينا الذين يناقشون أفكارنا فى الإعلام والندوات دون أن يعطوا لأنفسهم مسمى ودون أن يعلنوا أنهم شيوعيون ، كما أن لدينا مجلة تعبر عن فكرنا لكن لا يعلنون أيضاً أنها شيوعية .. اسمها " آفاق اشتراكية ") .

والأستاذ العالم مذ كان نجما فى عهد جمال عبدالناصر ، رئيساً لمؤسسة أخبار اليوم ، وهيئة الكتاب ، وهيئة المسرح ، يعلم أن الشيوعيين لم يعلنوا فى أدبياتهم العامة التى تخاطب الجمهور غير الشيوعى أنهم شيوعيون بل يعلنون أنهم مع الفقراء والكادحين ويؤدون الصلاة ، مثلما تحدث هو عن مسجد الشيوعيين الذى أقاموه فى معتقل الواحات ، وكان إمامه (محمد عمارة) .

ولا شك أن الذكاء الشيوعى هو الذى يجعل الأستاذ " العالم " يزعم أن الإخوان أقرب إلى الإسلام فى النص والشيوعيون أقرب إليه فى التطبيق ، وهو أول من يعلم أن هذا الزعم لا أساس له من الصحة ، فالشيوعية ضد الدين ، وخاصة الإسلام ، على طول الخط ، وهو بالطبع يعلم مقولات ماركس ولينين عن الدين بوصفه أفيون الشعوب، ويعلم أن آلاف المساجد فى الاتحاد السوفياتى تحولت على مدى عقدين من الزمان (العشرينيات والثلاثينيات) إلى اسطبلات للخيول أو كباريهات أو متاحف ، أو مقار للجان الشبيبة الشيوعية .

ومن المؤسف أن الأستاذ العالم لا يستبعد حق النظام البوليسى الفاشى فى اعتقال الإسلاميين ومحاكمتهم مسوّغاً ذلك بأن الحكومة إذ رأت اعتقالهم لأنهم يخططون لانقلاب ضدها فيجب أن تفعل . وهو رأى غريب وغير منطقى .. فمن هو الذى يستطيع عقلاً ، أن ينقلب على حكومة ، تملك جيشاً مزوداً بأحدث الأسلحة ، وجهازاً بوليسياً لا نظير له فى العالم من حيث تعداده الذى يبلغ مليوناً ومائتى ألف رجل ، ومجهزاً بأفضل تجهيزات القمع والتنصت والتعذيب ؟

المفارقة أن الرجل مع إعلانه أو إعلان حزبه السرى – فيما يفترض – أنه مع حق كل القوى فى تكوين أحزابها السياسية يرفض قيام الأحزاب الدينية ، وهو تفكير السلطة ذاته ،

الذى يقوم على الإقصاء والاستبعاد والانتقاء .. مع أن الدول الديمقراطية فى الغرب والكيان النازى اليهودى تقرّ قيام الأحزاب على أساس دينى أو مرجعية دينية ، وفى مصر يوجد أكبر حزب دينى منظم تنظيما دقيقا هو حزب الكنيسة ، ولكن أحداً ؛ كبيراً أو صغيراً ، لا يجرؤ على التعرض له من قريب أو بعيد .

لقد غضب بعض الشيوعيين وأشباههم على الأستاذ العالم الذى أعلن عن الحزب الشيوعى السرى / العلنى ، وسمى جريدة " المصرى اليوم " ب " المخبر اليوم " ، ولكن هذا الغضب – فيما أرى – مفتعل ، ولا مسوّغ له ، اللهم إلا التغطية على الحكومة ذاتها ، إذ إن الإعلان عن هذا الحزب أمر مقصود لذاته ، لتحقيق أكثر من غاية ؛منها : إبلاغ التيار الإسلامى أن هناك قوة أخرى (تحت الأرض) تستطيع أن تسحب شعبيته ووجوده (لاحظ ما قاله العالم عن قيام هذه القوة الشيوعية بتحريك إضرابات العمال مؤخرا، وهو أمر غير صحيح ، والصحيح هو استغلال هذه الإضرابات مثلما جرى فى ١٧،١٨ يناير ١٩٧٧م) ، ومنها إرسال إشارة إلى العالم الخارجى أن لدينا قوة موازية تتحرك مثلما يتحرك التيار الإسلامي ، ولذا فنحن ديمقراطيون ، ومنها تبييض وجه الشيوعيين المصريين ، وإظهارهم بمظهر المناضلين الحقيقيين الذين أبلوا بلاء غير حسن فى خدمة النظام البوليسى الفاشى ، بمناسبة التعديلات الدستورية ، وحاربوا عقيدة الشعب المصرى ، وطالبوا بحذف المادة الثانية من الدستور التى تتحدث عن إسلامية الدولة ؛ من خلال المقالات والندوات والفضائيات ، والبيانات التى وقعوها وهم يعلمون جيداً أنهم يمارسون لعبة قذرة ، لا يقل عنها قذارة تأييدهم لليهود الغزاة فى احتلال فلسطين ، ومعارضتهم للمقاومة العربية للقهر اليهودى الإجرامى عام ١٩٤٨م .

إن الحوار مع الأستاذ العالم ريح فوق البلاط ، ونضال فى غير مكانه ، وزوبعة فى فنجان .. خاصة أن الشيوعيين المصريين والعرب يلعبون اليوم دور مهرج " شكسبير " ، فيباركون الحرب على الإسلام ، ويسهمون فيها بالكذب والبهتان والتدليس ، ويباركون تقسيم العراق ، ويهتفون للعراق الكردى (!) ، ويرفعون من شأن عميل مثل " طالبانى " الذى كان ماركسيا وتأمرك مثلهم وسخر من الإسلام ، والقرآن الذى وصفه بأنه أوراق صفراء جاء بها محمد على جمل أجرب ! ..

***

الإسلام هو الحل !

مشكلة بعض النخب الثقافية تكمن في سوء فهمها للإسلام ، أو عدائها له دون سبب أو مسوّغ ، اللهم إلا الخضوع لمقاييس الثقافة الغربية وتصوراتها المعادية بالضرورة لكل ما هو إسلامي ، سواء كان هذا العداء بترسيب من المواريث الصليبية القديمة ، أو بحكم قدرة الإسلام على مقاومة الأطماع الاستعمارية الجديدة .

وينظر البعض إلى شعار " الإسلام هو الحل " نظرة انفعالية ، لا تمت إلى المنهج العلمي أو الموضوعية بصلة ، فالشعار فى المجالات المختلفة ، هو رمز يكثف دلالة عامة ، أو تصوراً أساسياً يُجمل ولا يُفصّل ، ويؤمئ ولا يشرح ، حتى في التجارة ، فإن الشركات والمؤسسات والمحلات الكبرى ، تتخذ لنفسها شعاراً أو شارة أو علامة تشير إليها ، وتعرّف بها ، ولا يطالبها أحد بتقديم العناصر المكونة أو المفردات المفصّلة ، كى يتعامل معها ، أو يرتبط بها .

وكما تطرح الأحزاب المصرية ، والعالمية ، شعارات دالة على منهج كل منها ، أو القضية الأساسية التي تشغلها ، فالإسلام هو الحل ، هو شعار دال على منهج التيار الإسلامي – وليس الإخوان وحدهم – فى رؤيته وتصوره لمعالجة قضايا المجتمع والأمة .

حزب الوفد مثلاً يطرح شعاراً يقول : الحق فوق القوة ، والأمة فوق الحكومة ،وحزب العمل المجمد يؤكد على إصلاح شامل من منظور إسلامي ، وحزب التجمع يؤكد على النضال من أجل الكادحين ، وحزب الناصريين يرى أن الخائفين لا يصنعون الحرية ، والمترددين لن تقوى أيديهم المرتعشة على البناء ، وحزب الغد يركز على الكرامة والإرادة السياسية القوية ، أما الحزب الوطني الديمقراطي أو حزب السلطة أو الاتحاد الاشتراكي العربي سابقا فشعاره : فكر جديد ، وافهم من الفكر الجديد ما شئت : احتكار الأسمنت والحديد ، نواب السيراميك ، نواب التجنيد ، نواب سميحة ، نواب التأشيرات ، افهم ما شئت ، ولكنه شعار على كل حال .

وهكذا بقية الأحزاب المصرية ، حتى تلك التي لا يعرف أحد اسمها ولا أسماء رؤسائها ولا أهدافها تتخذ لنفسها شعارات معينة تكثف فلسفتها ورؤيتها فى جملة قصيرة أو عبارة مركزة ، دون أن يواجهها اتهام واحد من قبيل الاتهامات التي توجه إلى شعار " الإسلام هو الحل " .

ومع أن شعار " الإسلام هو الحل " قد حظى بحكمين قضائيين يسمحان بتداوله ورفعه في الانتخابات والمناسبات المختلفة ، فإن هناك من يتربص بهذا الشعار ، وينتظر صدور قانون مباشرة الحقوق السياسية الجديد ، بعد التعديلات الدستورية المقيدة لحرية الشعب ، والمستأصلة للإسلام من الحياة السياسية ، ليحرّم رفع الشعار ، وتجريمه فى سابقة خطيرة ،

تؤكد فزع السلطة البوليسية الفاشية ، وهلعها من الإسلام ومعطياته ، حتى لو كانت مجرد شعار ، يرفعه مرشح إسلامى أو إخوانى أو مستقل .

ويرى بعض كتّاب السلطة البوليسية الفاشية ، أن الإسلام هو الحل ؛ شعار طارئ على شعارات جماعة الإخوان المسلمين لم يرفع قبل عام ١٩٨٧، وأنه شعار دعائى بلا مضمون عميق أو مجرد " أكليشيه " ابتكره متخصص فى التسويق وفى تصميم الإعلانات التجارية .

وللحقيقة وللتاريخ ، فقد سبق هذا الشعار شعار آخر ، جاء فى عنوان مقال للأستاذ " جابر رزق " – رحمه الله وكان فى مجلة " الدعوة " التى صدرت فى السبعينيات ، وجعله عنواناً لكتاب أصدره فيما بعد باسم " المسلمون قادمون " ، واذكر أنّ هذا العنوان استفز الرئيس الراحل " أنور السادات " ، وعرض له فى إحدى خطبه الطويلة التى كان يُلقيها رداً على ما أثارته زيارته للقدس المحتلة عام ١٩٧٧م .

ولما كانت الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية متوهجة فى تلك المرحلة ، فقد ظهر شعار " الإسلام هو الحل " مترافقاً معها ، وراح كثير من الأطراف يترجمون هذا الشعار من خلال أبحاث ودراسات وكتب وندوات ، تناقش قضايا المجتمع المختلفة فى ضوء الإسلام ، والأسس التى طرحها للمعالجة ، وأذكر أن ندوة مهمّة انعقدت فى نقابة المحامين حول معالجة الإسلام لمسألة الفقر ، أُلقيت فيها بحوث قيمة ، كما ظهرت كتب عديدة وندوات كثيرة تواجه ربا البنوك مما تمخض عنه قيام أول بنك إسلامى فى ميت غمر بمعرفة الدكتور أحمد النجار ، وهى التجربة التى توسعت فيما بعد داخل مصر والعالم ، فضلاً عن الكتب والندوات التى ناقشت قضايا التعليم والاقتصاد والتصنيع والسياسة وشارك فيها خبراء على مستوى عال من الداخل والخارج .

ولعل أول مرة ظهر فيها هذا الشعار كان على صفحات مجلة " الاعتصام " – ردّ الله غربتها – لسان حال الجمعية الشرعية وانتقل إلى بقية المجلات الإسلامية ، التى أُغلق معظمها فيما بعد بفعل قانون خاص وضعته السلطة لمواجهة الصحوة الإسلامية واستئصالها ، ويذكر فى هذا السياق أنه بموجب هذا القانون أعيد إصدار جريدة " وطنى " لسان حال الكنيسة الأرثوذكسية ، وحيل بين إعادة إصدار الدعوة والاعتصام ولواء الإسلام والإسلام ونور الإسلام ، بسبب القيود التى وضعتها السلطة البوليسية الفاشية ، مع أنها تعلم أن توزيع أية صحيفة من هذه الصحف ، لا يرقى إلى عشر توزيع " وطنى " .. ولكن " وطنى " تملك حصانة ! وتجد من يدافع عنها من كتاب السلطة وغيرهم . أما الصحف الإسلامية فمطلوب دمها لدى النخب الثقافية الحاكمة !

وقد راج شعار " الإسلام هو الحل " مع انتخابات ١٩٨٤م ، وازدهر فى انتخابات ١٩٨٧م وما بعدها ، ثم انتقل إلى الاتحادات الطلابية بالجامعات ، حتى غيّر أحد وزراء

التعليم العالي اللائحة الطلابية وقانون الجامعات ، فمات اتحاد الطلبة موتاً سريرياً ، لم يستيقظ منه إلا مؤخراً ممثلاً فى الاتحاد الموازى .

ويفترض فى شعار دعائى بلا مضمون عميق كما يقول كاتب السلطة ، أنه لا يخيف السلطة ولا خدّامها ، ولا يُثير ذلك الرعب أو الهلع الذى ينسحب على الصحافة الحكومية والموالية ، والحزب الوطنى والأحزاب التابعة له ، وأجهزة الدعاية من إذاعة وتلفزة .. ولكن حقائق الأمور تكمن فى كلمة واحدة اسمها " الإسلام " !

والإسلام بصفة عامة أمر مزعج ، وإزعاجه مزمن بالنسبة للسلطة وأنصارها وأتباعها ؛ وخاصة من النخب المتغربة ، فهو دين الأغلبية الساحقة التى لا ترضى عنه بديلاً ولا تقبل المساس به ، ويمثل لها فى الوقت نفسه ديناً ودولة ، حاضراً ومستقبلاً ، دنيا وآخرة ، أساسا لنهضة مرجوة وعبوراً لنكسة مرفوضة .

لقد صاغ رجال السلطة البوليسية الفاشية المادة الخامسة من الدستور لتحريم الإسلام على المسلمين ، مع أنها تتناقض مع المادة الثانية ، وعدّلوا بقية المواد لتأتى الانتخابات بنوّاب يحاربون الإسلام ويرفضونه ، ويخجلون من معطياته ، وهو أمر بشع إذا قارناه بما يحدث فى كيان الغزو النازى اليهودى فى فلسطين المحتلة ، حيث تتقدم الشريعة اليهودية فى المفاوضات السياسية والمحافل الدولية ، وتمثل درعاً يحتمى به الغزاة النازيون اليهود فى مواجهة القانون الدولى والأخلاق التى تواضع عليها المجتمع الإنسانى .

أعلم أن العالم الصليبى الاستعمارى ، يرفض أن يكون للإسلام وجود فى حياة المجتمعات الإسلامية ، بل إنه يدعم تجارب بعينها ، وجماعات إسلامية خاصة ، لتكون النموذج الأسوأ والأكثر إخفاقاً فى تقديم الإسلام ، ثم يقول للدنيا : هذا هو الإسلام الذى تقدمه هذه الدولة أو تلك الجماعة .

ولكن المسلمين فى كل الأحوال – كما أتصوّر – يجب ألا يثنيهم الجبروت الصليبى الاستعمارى ، عن ممارسة حقهم الطبيعى فى الاعتقاد بالإسلام وتطبيق شريعته وفقاً للثوابت التى أجمعت عليها الأمة منذ فجر الرسالة حتى اليوم ، مع الاستفادة بمنجزات الحضارة الإنسانية فى إثراء حياتها وتطويرها وازدهارها . ولنأخذ من التجارب الإسلامية الناجحة فى ماليزيا وتركيا وإيران والمغرب دليلاً نستهدى به فى مسيرتنا ..

وفى كل الأحوال ، فإن الإسلام هو الحل ، ليس خطأً وقعت فيه هذه الجماعة أو تلك ، وليس مشكلة فكرية أو سياسية ، فالخطأ هو مناخ الاستبداد والفاشية ، والمشكلة هى " العنصرية " القبيحة التى تمارسها بعض الأنظمة المهزومة ضد دين الأمة وثقافتها ، فى الوقت الذى تتهافت فيه على إرضاء السيد الصليبى الاستعمارى والخضوع لإرادته الهمجية المتوحشة ..

ولنتذكر دائماً أن الإسلام لا يعطى حصانة لكائن من كان ، ولكن إقامته فرض عين على كل المسلمين ، بمعرفة العلماء الثقات الذين يخشون ربهم ويخافونه.

***

العلمانية ضد الإسلام !

فى عام ١٩٠٥م صدر القانون الفرنسى الذى يفصل بين الكنيسة والدولة ، وهذا القانون يمنع الكنيسة من التدخل فى شئون الحكومة وإدارتها وسياستها ، لأن الكنيسة لها قراراتها ورؤيتها التى تستند إلى السماء ، أو إرادة الله ، ومن الصعب أن يخالفها أحد فى السلطة

الزمنية أو خارجها . مما جعل قرار الفصل بين الكنيسة والدولة ، قراراً مهماً لمنع رجال الدين الكاثوليك من العمل بالسياسة ، لأنهم يصبغون مواقفهم بصبغة إلهية ، يجب ألا يردها أحد ، أو يقف فى طريقها مخلوق .

وبناء عليه ، فقد شاعت العلمانية فى أوربة ثم أمريكا تحت إطار فصل الكنيسة عن الدولة ، وليس فصل الدين عن الدولة .

فى بلاد الإسلام ، لاتوجد كنيسة ، ولا يوجد رجال دين . المسجد فى الإسلام لا سلطان له على أحد إلا بقدر الإرشاد والتوجيه والتربية والعظة . وعلماء الدين لا يستمدون وجودهم أو كلامهم من خصوصية مقدسة أو معصومة ، كما هى الحال بالنسبة لرجال الدين المسيحيين .. ومن ثم ، فلا مسوّغ للفصل بين المسجد والدولة ، ولا تنحية علماء الدين عن ممارسة شئون الحياة بما فيها السياسة .

بعض النخب فى بلادنا تستميت دفاعاً عن العلمانية ، ويصرون أن تكون مصر علمانية ، وتخلع صفة الإسلام عنها وعن وجودها ، مع أن المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها يعدونها عقل الإسلام ، ومصدر المعرفة الإسلامية الصحيحة ، وموطن علماء الإسلام الثقات ، وهى بلد الأزهر الشريف أعرق المؤسسات العلمية الإسلامية (لا يوجد فى الإسلام مؤسسات دينية كما يردد البعض خطأً أو عمداً) .

وفى تركيا التى كانت عاصمة الخلافة الإسلامية ، ورمزاً لوحدة المسلمين فى شتى أرجاء الأرض ، قبل أن يدمرها الصليبيون الاستعماريون ، قام عميلهم " مصطفى كمال أتاتورك " ، الذى يقال إن أصوله يهودية ، وينتمى إلى يهود الدونمة ، بإلغاء الخلافة الإسلامية ، وتغيير هوية الدولة ، وإحلال لغة بديلة (مكونة من التركية القديمة ولغات أوربة الحديثة مكان اللغة العربية) ، وعلّق علماء الدين المسلمين المعارضين لسياسته التغريبية أو العلمانية كما يُسميها البعض على أعواد المشانق ، حتى صارت المشانق مثل الأراجيح فى ميادين المدن والقرى التركية ، تحمل أصحاب العمائم من رقابهم !

وقبل أن يموت أتاتورك – وهو يحتضر – طلب السفير البريطاني (!) كي يوصي إليه بحكم تركيا من بعده ، وكانت زوجه الأولى قد رفضت الاستمرار معه بعد أن اكتشفت عمالته ، وسوء نيته تجاه افسلام والمسلمين .

لقد اعتقد أتاتورك ؛ أن تركيا حين تخلع إسلامها ستتحول إلى دولة متقدمة مثل الدول الأوربية ، ولكنها صارت ذيلا لهذه الدول ، وتحكمت فيها نخب عسكرية وثقافية ، ولاؤها الأول للعالم الصليبي الاستعماري المتوحش . بيد أن الشعب التركي المسلم في قاعدته العريضة ؛ ما زال متمسكا بدينه حريصا على قرآنه ، وبعد أكثر من ثمانين عاما فما زال الأتراك ن يزورون مسجد أبي أيوب الأنصاري – رضي الله عنه – الفاتح الأول الحقيقي

لاستانبول (القسطنطينية) كما قال بحق محمد الفاتح السلطان الأشهر ؛ وتنطلق من مسجد أبـي أيـوب حفـلات الزفـاف للعرسـان الجـدد ، والأطفـال الـذين يـتم ختـانهم ، كمـا هـي عـادة الأتراك منذ دخل الإسلام إلى القسطنتينية (استانبول).

بعـد ثلاثـة أربـاع قـرن مـن الزمـان ، فوجئـت أوربـة الصـليبية الاسـتعمارية ، بـأن تركيـا عاصمة الخلافة تستعيد هويتها الإسلامية من جديد ، وأن حزب العدالة والتنمية الإسلامي ، أو صـاحب المرجعيـة الإسـلامية ، يحظـى بـأكبر عـدد مـن المقاعـد فـي البرلمـان التركـي " العلمـاني " ،ولأول مـرة تسـتقر الحكومـة التركيـة أربـع سـنوات ، وتحقـق معـدلات اقتصـادية مرتفعـة وتخفـض الـديون وتثبـت وجودهـا السياسـي أمـام قـوى الشـر الصـليبي الاسـتعمارى ، وترفض المشاركة في التآمر على العراق ، كما فعلت بعض العواصم العربية .

ومع أن الحكومة التركية الحالية تعلن ثلاث مرات يوميا ، قبل الأكل وبعده ، أنها تحترم النظام العلماني ، وتؤمن بالديمقراطية ، فإن العلمانيين (المسلمين) يصرون على رفض أن يـرأس تركيـا رجـل مـن حـزب العدالـة ذي المرجعيـة الإسـلامية ، وقـد جمعـوا صـفوفهم ، مـن أقصـى اليمـين إلـى أقصـى اليسـار ، وقـاموا بمظـاهرة ضـمت ثلاثمائـة ألـف فـي أنقـرة ، ضـد ترشيح عبد الله جول ، وزير الخارجية الحالى ، وانسحب أعضاء المعارضة في البرلمان عند التصويت على الانتخابات لرئاسة الجمهورية كي لا يكتمل نصاب الثلثين من الأصوات التي يجـب أن ينالهـا المرشـح للرئاسـة. وقـدموا طعنـا للمحكمـة الدسـتورية لإثبـات عـدم قانونيـة التصويت بـدون المعارضـة ، ثـم تدخلت المؤسسـة العسكرية التـي يفترض أن تحمـي الدستور والديمقراطيـة لـتعلن أن العلمانيـة " فـي خطـر (!)، أمـا مظـاهر هـذا الخطـر فتتمثـل فـي كـون زوجـة المرشـح للرئاسـة ترتـدي الحجـاب ، وأن هنـاك أنشـطة تربويـة تتعلـق بتحفـيظ القـرآن للتلاميذ الصغار ومنحهم جوائز في مسابقات تقام بعلم الحكومة !

ياله من خطر على العلمانية !

العلمانية يفترض أن تحترم كل الأديان كما يقول حازم الببلاوى (الأهرام ٢٠٠٧/٤/٢٩م) والتعديل الأول للدستور الأمريكى يؤكد فى جوهره على حق المواطنين جميعاً فـى الممارسـة الحـرة لعقائـدهم ، وأن الـدين لا ينفصـل عـن الدولـة أو المجتمـع ، بـل هـو جـزء مـن النسـيج الاجتماعى للمجتمعات ، وأن حريـة الاعتقاد هـى إحدى الحريات الأساسية للفرد التـى ينبغـى احترامها . وللأسف فالعلمانية فى تركيا ومصر أيضا ، تقبل كل العقائد والأديان إلا الإسلام !

لماذا ؟ الله وحده أعلم .

فـى بلادنـا فسـرت النخـب العميلـة للاسـتعمار الصـليبى المتـوحش العلمانيـة تفسـيرا مفصـلاً على قدّ الإسلام ، فالإسـلام ينبغـى ألا يكـون لـه وجـود فـى الحيـاة – مطلـق الحيـاة – وإلا فهـو

ظلامية ورجعية وردّة وخطر على الأمن القومى تجب مقاومته ومكافحته وإقصاؤه واستئصاله .

ومن الغريب ، أن يدعو أحدهم بالهداية للإسلاميين ، حتى يقبلوا فصل الدين عن الدولة ، وتدشين نسق علمانى يدع ما لله لله ، وما لقيصر لقيصر !ويسخر من الإسلاميين المصريين الذين يصرون على خلط الدين بالسياسة ، ويتصورون أن الشعب التركى على شفا ثورة عارمة تطيح بالعلمانية الكافرة ، ويبشرون بالزحف الأخضر ، وعودة استانبول إلى عهدها السابق ترتدى العمامة والقفطان الأخضر .. ثم يؤكد صاحبنا أن المحجبات فى تركيا رفضن أسلمة القصر الجمهورى التركى !ويسخر من العرب الذين يعيشون فى تراث الماضى (؟) ويستيقظون على هدير الأتراك وهم يرفضون " رجب طيب أردوغان أو أيا من أتباعه فى رئاسة الجمهورية ، محتمين بضريح أتاتورك (الأهرام ٣٠/٤/٢٠٠٧م) .

ومن الواضح ، أن البعض يتقرب إلى المستبدين الفاشيين بهذا الكلام السخيف ، ويتناسى أن الشعب التركى المسلم هو الذى جاء برجب طيب أردوغان وحزبه إلى الحكم فى انتخابات نزيهة شفافة – ليست كالانتخابات إياها – ومنحه أغلبية ساحقة فى تاريخ الأحزاب التركية .

إن حكاية فصل الدين عن الدولة ، لم يتكلم عنها أحد فى أوربا ، تكلموا عن فصل الكنيسة فقط . أما الدين فحاضر فى السلوك الأوربى الأمريكى ، بدءًا من السيدة ميركل التى طالبت بالنص على مسيحية أوروبا فى دستور الاتحاد الأوروبى ، حتى السيد بوش الذى يدعى أنه يقتل أهل العراق وأفغانستان بوحى من السماء !

مشكلة بعض النخب العربية العميلة الكارهة للإسلام ، أنها ملكية أكثر من الملك ، فقد حذر مفوض توسيع الاتحاد الأوربى الجيش التركى من التدخل فى الأمور السياسية ، بعد أن أصدر الأخير بيانا شديد اللهجة ضد ترشيح إسلامى لرئاسة الجمهورية .. فهل يفهم ذلك السادة العلمانيون العرب ؟

إن العلمانية فى بلاد المسلمين ، ليست هى العلمانية فى بلاد الغربيين ، فالعلمانية فى بلاد المسلمين تعنى إلغاء الإسلام واستئصاله من الحياة والواقع ، ومن السياسة والاقتصاد والتعليم والإعلام ، وكل ما يمكن أن يسمح به العلمانيون فى بلاد الإسلام المنكوبة ، هو إقامة صلاة الجنائز على الأموات .. وما عدا ذلك فيجب محوه من الوجود . إن العلمانية ضد الإسلام .

" ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين " (الأنفال : ٣٠) .

***

المارينز الدينى !

فى تاريخ الإسلام كله ، كانت المعارضة الحقيقية للطغيان والظلم والفساد ، تأتى من جانب علماء الدين الذين كانوا يحرسون العقيدة والشريعة ، ويرفضون أن يعتدى عليها طاغية ، أو يشوهها سفاح ، أو يمسخها ظالم أو فاقد للضمير .. وكان الدفاع عن العقيدة أو الشريعة يعنى ضمنيا حماية المسلمين وغيرهم ، وخاصة الضعفاء من العسف والجور وتقييد الحريات ، وفى تاريخ الإسلام صفحات ناصعة لعلماء ضحوا بأرواحهم من أجل العقيدة والشريعة ، بعضهم ضرب عنقه على النطع ، وآخرون علّقوا على المشانق مثل الأراجيح ، وبعضهم الثالث تم اغتياله فى جنح الليل أو عز الظهر .. ولكن كل ذلك لم يفت فى عضد علماء الدين المخلصين ، الذين أخلصوا لله ، ولم يخلصوا للدينار أو الدولار !

وصحيح أيضاً ، أن صفحات التاريخ الإسلامى ، حملت صفحات مخزية ومجللة بالعار ، لبعض المنتسبين لعلماء الإسلام الذين ناصروا الظلم وأفتوا بالباطل ، وتحوّلوا إلى خدم فى بلاط السلاطين . وهؤلاء لم ولن يرحمهم التاريخ ، واستحقوا لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

وهناك من الناس – ومن بينهم العلماء – من لا يستطيع أن يجاهر بالحق ، أو يواجه الطغيان ، ولكنه فى الوقت نفسه ، لا يرضى لنفسه أن يؤيد الباطل ، أو ينافق الطاغية ، فيلزم بيته أو يبتعد عن موضوع المساءلة ، كى لا يتحمل أمام الله والناس مسئولية الباطل والنفاق !

فى زماننا صار علماء السوء أكثر من الهمّ على القلب ، وصارت الدنيا شاغلهم الأوحد ، حتى لو كانوا على شفا القبر ، أو اقتربوا بأعمارهم الطويلة من لقاء العادل الذى لا يظلم عنده أحد ، ولكنهم للأسف يظلون متمسكين بأهداب السلطان وأعراض الدار الفانية !

ومن أسف أن هؤلاء يجدون لذة حين يضفى عليهم مثقفو الحظيرة ، ومرتزقة الفكر ، وخدام الغرب والصهيونية ، بعض الألقاب التى توقعهم فى المحظور ، وتجعلهم كأنهم يؤيدون الشيطان فى إجرامه ومكائده !

قلت إن المعارضة الحقيقية يقودها علماء الإسلام ، أصحاب العقيدة والخلق والضمير ، الذين يدفعون ثمن معارضتهم قربة لله واحتساباً ، وهؤلاء موجودون فى كل عصر ، ومهما اشتدت الظلمات ، فإنهم يظهرون من خلالها نجوماً مضيئة ، تهدى الحيارى ، وتزرع الأمل فى نفوس المستضعفين ، وتشد من أزر الحائرين وتمدّهم بالسكينة واليقين ، وهو ما نراه ، فى هذه المنطقة أو تلك من عالمنا الإسلامى ، المترامى الأطراف ، ولولاهم ، ومن خلال تمسّكهم بالكتاب والسنة والإجماع ، لضاعت منذ زمان بعيد!

ومع ذلك فإن العدو الصليبى الاستعمارى ، وتابعه العدو الصهيونى الاستيطانى ، لا يملّان ولا يكلّان من انتقاء بعض علماء السوء ، والترويج لهم تحت شعارات مدوية مغرية مثل التقدم والتنوير والحداثة ، بوصفهم خارجين عن سلطان الكنيسة (الإسلامية) والسلطان (الدينى) ، وما كان فى الإسلام كنيسة ، وما كان عند المسلمين سلطة دينية فى أى وقت من الأوقات .. والمؤكد أن السلطة التى وجدت أحياناً ، كانت سلطة العسس ، أو سلطة البوليس أو السلطة العسكرية ، التى يقيمها أعداء البلاد والعباد ، بعد الغزو أو فى أعقابه !

قبل عدة ليال ، خرجت علينا إحدى الفضائيات بتقديم أحد علماء الزمان ، وصفته بأنه عميد سابق لإحدى كليات الشريعة فى بلد عربى . واستنطقته القناة فى عدة قضايا وتكلم الرجل وليته أغلق فمه بالضبة والمفتاح كما نقول فى ريف مصر ، لأنه أثبت ولاءه المطلق

لفكر أعداء الإسلام ، وخدامهم هنا وهناك ، وتحول إلى نوع جديد من المارينز ، أسميه (المارينز الدينى) !

قال الرجل إنه يفضّل الجلوس بقرب إحدى الممثلات أو الغانيات ، ولا يفضل الجلوس بقرب الشيخ يوسف القرضاوى . طبعاً لأن الممثلة جميلة وأنثى وقد تضاحكه أو تشبع لديه رغبة القرب من جمال محروم منه فى حياته . أما القرضاوى فهو – كما وصفه – رجل متشدّد مشغول بالدفاع عن الدين وقضاياه ، فضلاً عن " تكشيرته " أو عبوسه الذى لا يروق " عميد الشريعة " الحداثى المستنير التقدمى !

ثم إن الرجل (عالم المارينز الدينى) ببساطة شديدة ، أدان العمليات الاستشهادية فى أرض فلسطين المحتلة ، لأنه رجل رقيق الحسّ ، ويحرص على مشاعر الغزاة النازيين اليهود الذين استأصلوا السكان من بيوتهم وقراهم ومدنهم ، وطردوهم إلى المجهول قبل ستين عاماً ، بعد أن أعملوا فى رقابهم – ومازالوا – الذبح والقتل والتهجير ، ولم يبقوا على آثارهم من شيء ، حتى أشجار الزيتون المعمرة قطعوها وجرفوها بالجرافات العملاقة حتى صارت مادة يومية أو شبه يومية تظهر على شاشات التلفزة المحلية والعالمية ، ولا يجد أهل فلسطين سلاحاً يدافعون به عن أنفسهم ووجودهم أمام الآلة العسكرية النازية بعد أن منع عنهم الأشقاء السلاح والمال ، فأبدعوا – وياله من إبداع تاريخى ! – الدفاع عن حياتهم بلحمهم الحيّ ضد القوة الباطشة .. وبعيداً عن منهج الإسلام الذى يجعل من يقتل دون ماله وعرضه ودمه ودينه شهيداً ، هل تجب إدانة هذه العمليات التى جعلت العدوّ يرتدع ، ويعيش الرعب والخوف منها ، لدرجة أنه وضع فى الضفة الغربية مئات الحواجز الأسمنتية ، فضلاً عن الجدار العازل حتى يحمى أفراده الغزاة ؟

هذا الرجل الذى يدين العمليات الاستشهادية يعدّ ما يقوم به التحالف الصليبى الاستعمارى بقيادة الولايات المتحدة فى العراق ، ليس احتلالاً عسكرياً ! ونحن نسأله ماذا يعنى وجود قرابة مائة وخمسين ألفاً من جنود المارينز الأمريكان ، مع آلاف أخرى من الدول الصليبية الأوروبية ، فضلاً عن مائتى ألف مرتزق (أى مقاتلون بالأجرة) من بينهم أحفاد الصليبيين القدامى)الذين يسمونهم " فرسان المعبد " (لهم سفارة فى مصر !) ، وهم من أشد الناس وحشية وتعصّباً ضد المسلمين ؟

هل جاء هؤلاء الجنود المرتزقة للنزهة فى العراق الحبيب ؟ أم جاءوا لتدميره ، وتحويل دجلة والفرات وشط العرب إلى أنهار تجرى بالدم ، كما نشاهدها يوميا ، فى الصباح والمساء ، على شاشات التلفزة المحلية والدولية ؟ إن لم يكونوا يا صاحب الفضيلة جنود احتلال .. ولصوص سلطة وثروة وتراث (سرقوا حتى اليوم ما قيمته ٢٢ مليارا من الدولارات بترولاً !) فماذا يكونون ؟ هل جاءوا متطوعين لنجدة العراقيين من الجوع والفتنة الطائفية والعرقية ؟

تمنيت يا صاحب الفضيلة عميد كلية الشريعة السابق أن تخبرنى عن مفهومك للتقدم والتنوير والحداثة التى وصفك بها مقدم البرنامج ، أو وصفك بها المعجبون بك من سلالة " هنرى كورييل " ومثقفى الحظيرة " ، واليسار المتأمرك ، ومرتزقة الفكر والسياسة ؟

إنى أسألك سؤالاً بسيطاً ، آمل أن تجيب عليه ، قبل أن تجيب على السؤال السابق : هل لدى أمتنا المنكوبة حدّ أدنى من الحرية ؟ هل نستطيع أن نعيش فى أمان فى ظل النظم التى طلقت الإسلام وألقت به فى الجبّ ، وقالت لقد أكله الذئب الأصولى المتطرف ، وزعمت أنها تؤمن بالتقدم والتنوير والحداثة ؟

حسناً ، أيها الشيخ العميد السابق .. أتمنى لك جلسة منعشة بجوار ممثلة جميلة ، لعلها تعيدك إلى مجال التفكير العلمى المنهجى . هدانا الله وإياك .

***

الخلافة الإسلامية ..
والخلافة الأوربية

يترك كتّاب لاظوغلى واليسار المتأمرك ومثقفو الحظيرة ، قضايا الأمة المهمة ، ويُسوّدون صفحات طوالا عن قضايا لا تعنى الناس فى زمننا ، ولا يطرحها الواقع ، ولا تفرض نفسها على متطلبات الحياة اليومية لجموع الشعب المقهور !

يطرحون قضية الخلافة والدولة الدينية وفتاوى الفضائيات التى لا تعنى أحداً ، ولا تُمثل معضلة حيويّة تقف فى طريق تقدم الأمة .. ويبتعدون فى الوقت نفسه عن قضية تمزيق الأوطان على أسس عرقية وطائفية ومذهبية وفئوية وطبقية ، ولا يُشيرون بكلمة إلى الدولة البوليسية الفاشية التى تضع فى حسبانها اعتقال الشرفاء والأطهار ، وتترك الفاسدين المفسدين والقتلة اللصوص ، وتُودّع بعضهم من صالة كبار الزوار . ولا يتكلمون عن فتاوى علماء السلطة وفقهاء الشرطة الذين يُحللون الربا ويُكفّرون من يُقاطع الاستفتاءات المزوّرة

والانتخابات الصورية ، ويُدافعون عن الطغاة بحجة الطاعة لولى الأمر حتى لو داس على الإسلام واستأصله من مناهج التعليم ووسائل الإعلام ووسائط الثقافة ، وجعل دخول المساجد ببطاقات ممغنطة ، ومنع المذيعات من ارتداء الحجاب !

والمفارقة أن هؤلاء المنافقين الأفاقين الذين تزايدت أرصدتهم المالية الحرام من خلال أكاذيبهم بالقول والكتابة فى مؤسسات الأنظمة البوليسية الفاشية ، لا ينظرون حولهم ، ولا يعتبرون بالتاريخ ولا الجغرافيا !

خذ قضية الخلافة مثلاً . إنهم لا يكفّون عن إدانتها ، بل إدانة بعض الخلفاء الراشدين الصالحين ! ويرون أن الزمان لم يعد صالحاً لشىء اسمه " الخلافة " ، ويتخذون منها مرتكزاً للهجوم على الإسلام وتشريعاته وقيمه ومفاهيمه ، وما أكثر ما يُردّد هؤلاء الكذبة ، أن التاريخ الإسلامى فى ظل الخلافة كان قتلاً ودماراً وحروباً وتخريباً .. ولا يرون إلا الحوادث الفاجعة ، والبقع السوداء ، ونسو أن الخلفاء بشر ، يُصيبون ويخطئون ، وكانت الأمة تملك عافية التصويب والتصحيح من خلال علماء الإسلام الذين تصدّوا لانحرافات من يُخطئ وأخطاء من ينحرف .. كانت الأمة فى ذاتها تسير وفق قيم عامة ، وتستهدى بما يُعرف بعصر الخلفاء الراشدين ، أى الخلفاء النموذج الأرقى الذى يقتدى به الغير ، وكانت الدولة فى ظل الخلافة أيام قوتها ، وقبل أن تنهار عوامل المناعة بفعل البعد عن الإسلام والقرآن الكريم والمنهج الرّبانى ، تتصدى لهمجية الوحوش الصليبية والتترية ، وكانت كرامة المواطن فى دولة الخلافة القوية – أيا كان دينه – مصونة ومحفوظة ، فى أى مكان فوق الأرض ، كان المسلمون لا يخشون الخلفاء الطغاة وأشباههم ، فقد كانت تربيتهم الإسلامية تُقاوم وتستعصى على الضلال والإضلال ، وكانت قاعدة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجباً ينهض به كل قادر عليه بدرجاته الثلاث .. وظلت الحال كذلك ، حتى فى عهد السلطان سليم العثمانى الذى قتل بعض أخوته ، فقد تصدى له علماء الدين وأوقفوا طغيانه (على فكرة : هذا السلطان لم يدخل مصر إلا بعد أن استدعاه علماؤها ووجهاؤها ليتخلصوا من محنة المماليك !) .

الخلافة نظام يحفظ المجتمع الإسلامى ، وارتضاه المسلمون بعد وفاة الرسول – صلى الله عليه وسلم – وأجمع عليه العلماء لإقامة العدل والأمن وتسيير شئون الناس ، وسواء كان اسمه الخلافة أو الولاية أو السلطنة أو المملكة أو الجمهورية ، ففيه مسئول أو مسئولون عن بقية الخلق أو المواطنين وإدارة شئون حياتهم ومعاشهم .. وإذا كان الاستعماريون الصليبيون المتوحشون قد نجحوا فى إنهاء الرابطة التى تربط المسلمين ، برمز يُسمى " الخليفة " – ولو كان ضعيفا – عن طريق إشعال نار القوميات والعصبيات بين الفرس والعرب والترك والأفغان والهنود وغيرهم ، ثم نجحوا فى تفتيت هذه القوميات والعصبيات إلى طوائف

ومذاهب وأعراق ودويلات وكانتونات .. وجعلوا المسلمين " قصعة الأمم " فليس هذا ذنب الإسلام الذى يأمرهم أن يعتصموا بحبل الله ولا يتفرقوا ، ولا يضيره أن يقوم بعض المغامرين والطامعين فى السلطة والجاه إلى تفتيت المسلمين بذريعة أو أخرى ..

ويبقى ضمير الأمة يحمل شعوراً بالتوحد ، والإحساس والتعاطف مع أخيه المسلم فى كل مكان ولو كان على سطح القمر ! ومع أننا كنا نتعلم ونعلّم فى المدارس قبل نصف قرن أو يزيد ، أن الاتحاد قوة ، وأن التفرق ضعف ، فإن المارينز العرب يصرون على أن الاتحاد ضعف والتفرق قوة !

لقد قامت الجامعة العربية قبل الاتحاد الأوربى بعشرين عاماً على الأقل ، وربما استفاد الأوربيون من فكرة الجامعة العربية ، فعملوا من أجل تحويل الفكرة إلى حقيقة واقعة على الأرض ، وظل العرب يراوحون مكانهم ، وظلت الجامعة مجرد منتدى موسمى لتبادل العناق والقبلات وشرب القهوة وعقد المؤتمرات الصحفية التى تسفر فى النهاية عن كلام فى كلام ..

الاتحاد الأوروبى ، لأن اصحابه يملكون الحرية والهدف الواضح المحدد ، فقد تحركوا خطوة خطوة فى شتى المجالات الثقافية والزراعية والصناعية والتجارية والإدارية والاقتصادية والسياسية ، حتى صار لهم برلمان أوروبى موحد حقيقى ، وله رئيس أوربى حقيقى ، وله حكومة حقيقية ، ولم ينزعج أحد أن يكون مفوض الاتحاد الأوروبى من إيطاليا أو النرويج أو إسبانيا ، ولم يسخر أحد من رئيس البرلمان الأوروبى أو جنسيته ، كما فعل المارينز العرب ، حينما سخروا ممن قال أنه لا مانع لديه أن يحكم مصر ماليزى !

لقد قلب المنافقون العبارة ، ودخلوا فى متاهة تفضيل المسلم على غير المسلم ، والوطنية وعدم الوطنية ، ونسوا أن الخليفة الأوروبى لن يلقى ممانعة ولو كان من سلوفينيا أو إمارة موناكو ، لأن القوم هناك أقاموا خلافة حقيقية بمعنى سياسة الملك أو تدبير شئون الناس ، أو تدبير المنزل ، كما يُسميها ابن سينا فى كتابه الشفاء . وصار الاقتصاد الأوروبى قوياً جداً ، وصارت عملته موّحدة ، كما كانت العملة موحدة فى عهد الخلافة الإسلامية ، وللاتحاد الأوروبى سياسة موحدة ، ودستور موحد سيتم إقراره ويُشار فيه إلى " المسيحية " مرجعية ثقافية أوروبية ، كما صرحت بذلك السيدة " أنجيلا ميركل " مستشار ألمانيا ، وصرح آخرون فى فرنسا والنمسا وإيطاليا والفاتيكان !

الخلافة الأوروبية أمر واقع ، وغير مخجل للأوربيين . أما الخلافة الإسلامية – مع أنها كانت أقرب إلى النظام الفيدرالى – فهى تخجل " المارينز العرب ، وتجعلهم ينفخون فى قضيتها وهم يعلمون أن معظم الفراعنة الذين يحكمون العالم الإسلامى ، لا يُفكرون فى الخلافة ولا إقامتها ، بل إن منظمة المؤتمر الإسلامى التى تعدّ رابطاً شكلياً من روابط الشعوب أو الحكومات الإسلامية ، صارت لا تعنى أحداً غير أمينها العام .

فى قصيدته العصماء " الخلافة " التى نشرت السياسة فى ٧ يونيو ١٩٢٦م ، حلّل أمير الشعراء " أحمد شوقى " أحوال المسلمين وضعفهم وهوانهم لدرجة أن قيمتهم صارت أرخص قيمة فى العالم ، وافتتحها ببيتين يُلخصان كل شئ :

بعثوا الخلافة سيرة فى النادى أين المبايع بالإمام يُنادى ؟

من بات يلتمس الخلافة فى الكرى لم يلق غير خلافة الصيادِ

ومن أبياتها المعبرة عن الهوان :

اليوم لا سمر الرماح بعدة تُغنى ، ولا بيض الظبا بعتادِ

***

مثقف الأمة .. ومثقف الحظيرة !

أثار مرض الدكتور عبد الوهاب المسيري ؛ أشجانا كثيرة حول موقف المثقف وموقف السلطة ، فمثقف مثل المسيري ينبغي ألا يتعرض للمهانة من أجل تدبير قيمة علاجه وتكاليف الإقامة في البلد الذي سيعالجه ، وأقول المهانة ؛ لأنه إنسان ينتمي إلى هذا الوطن مثل أكثر من سبعين مليونا يدفعون الضرائب ، ويقومون بواجباتهم تجاه الدولة ، ولهم في الوقت نفسه حق العلاج الذي هو أبسط حقوق الإنسان . والذي صارت بموجبه مصر مؤخرا عضوا في مجلس حقوق الإنسان العالمي !!

السلطة في مصر تمارس التمييز العنصري بين أبنائها ، فهي لا تعترف بغير الأقلية المحدودة التي تتولى تقاليد الحكم ومستلزماته ؛ من حزب حاكم وحيد ، ودعاية عريضة تقتضي ميزانية ضخمة ، تروج له ، وتغطي على أخطائه وخطاياه ، وتذيع اكاذيبه ومفترياته ضد خصومه ومعارضيه.. وهذه الأقلية المحدودة تعتمد على نمط من المثقفين والكتاب والإعلاميين ، تنطق بلسانها وتدعو لها وتتبتل في محرابها وتهجو كل مخالفيها ، ومؤهلها الأول الرئيس هو العداء للإسلام ، والخصومة لدعاته ، ولو كانوا من أكبر العقول في البلد ، لأن الإسلام هو الحرية ورفض الاستبداد والدعوة إلى العدل وحراسة القيم العليا والمال العام .. ومن ثم نشأ ما يعرف بكتاب السلطة أو كتاب لا ظوغلى ، وبجوارهم ما يعرف بمثقفي الحظيرة ، أي الذين خضعوا لسلطان النظام البوليسي الفاشي ، ودخلوا حظيرته – وفق تعبير

الوزير إياه – وهؤلاء بالضرورة ، صاروا جزءا من الأقلية المحدودة التي تحظى بالامتيازات في كل شيء : الثروة والسلطة والشهرة والدعاية والوجاهة .. ثم العلاج المجاني الفوري على نفقة الدولة بطائرات خاصة – في بعض الأحيان – تذهب إلى أي عاصمة في النيا ، ولو كانت في بلاد واق الواق ، مع باقات الورود، والاتصالات الهاتفية للاطمئنان من كبار المسئولين وصغارهم على السواء !

مثقفو الحظيرة إذا ؛ هم الذين يعملون في ظل النظام البوليسي الفاشي ، ويقفون ضد إرادة الأمة ، وضد الحرية ، والعدل والأمل ، ولا يعترفون بالتنوع أو التعدد أوالتسامح في إطار الجماعة الوطنية ، مع أنهم يصدعون رءوسنا ليل نهار بالحديث عن التسامح واحترام الآخر ، ويثرثرون كثيرا عن الحرية والعدل ، ولكنهم في حقيقة الأمر مستبدون أنانيون لا يقصدون غير حريتهم هم ، ومصلحتهم هم ، ويطالبون لأنفسهم بكل الامتيازات التي يجب أن تكون قسمة عادلة بينهم هم ، وليس مع غيرهم من بقية الشعب البائس المسكين !

مثقفو الحظيرة حالة أنانية ساقطة بامتياز ، وخاصة أنهم يضمون ما يعرف باليسار المتأمرك ، أو المارينز العربي ، وخونة المهجر ،وطالبي الرزق بأية وسيلة ،وعلى حساب أية قيمة .. ولذا يجدون استجابة سريعة ومباشرة من النظام البولسي الفاشى لعلاجهم أو تنمية حساباتهم في البنوك ..أما مثقف الأمة ،مثل عبد الوهاب المسيري ، فلا مكان له في دولة النظام البوليسي الفاشي ، لأن هذه الدولة لا تعترف بأمثاله – وهم كثر – حيث يأخذون الثقافة مأخذ الجد ، وهو مفهوم مختلف عن مفهوم مثقفي الحظيرة للثقافة ، فمثقف الأمة يوقن أن الثقافة دفع وعطاء ، وقيمة وليست منفعة . وعبد الوهاب المسيري دفع عمره وماله من أجل أمته .. بحث عن الحقيقة في الماركسية والعالم الغربي ، ولكنه وجدها في ظلال الإسلام وثقافته الإنسانية الراقية ، فانحاز إليها بلا تردد ، وراح ينافح عنها ، ويكشف أكاذيب المرتزقة واليسار المتامرك ومثقفي الحظيرة ، وأبطل مفاهيمهم الماكرة الخادعة ؛ بدءا من الحداثة التي تعني الانقطاع أو القطيعة مع الماضى (الدين تحديدا) ، وترتبط بإسقاط القيم النبيلة لحساب القيم المادية الإرهابية التي تتجعل الغاية فوق الوسيلة . كما كشف عن ارتباطها بالبارود والدمار واستنزاف الشعوب ونهبها ، من قبل الدول الأوربية صانعة الحداثة (ما يعرف بالاستعمار) .. وانتهاء بتجميل الوجه القبيح للنظام البوليسي الفاشى تحت مسمى الدولة المدنية !ومع أنه قارب السبعين (من مواليد ١٩٣٨م) – أطال الله عمره – فقد خرج إلى الشارع مع زوجه للتظاهر ضد الاستبداد والفاشية والجمهورية الملكية ، وكاد الجلادون يفتكون به دهسا أو دعسا – بمعنى أدق – بالأقدام ! ولكن الله سلم !

لقد أنفق الرجل من ميراثه على إنشاء دائرة المعارف أو الموسوعة التي تتناول الصهيونية واليهودية ، وهو عمل تعجز عنه أجهزة ومؤسسات رسمية ، واستنشاط الغزاة النازيون اليهود

غضبا في فلسطين المحتلة بسبب هذه الموسوعة التي تكشف زيف دعاواهم وكذب ادعاءاتهم عن فلسطين والقدس والمسجد الأقصى والتاريخ والجغرافيا عموما ، ولقد شاطرتهم بعض الأجهزة الحاكمة في بلادنا هذا الغضب ضمنيا ، وإن لم تعلن ذلك ، ولكنها عبرت عنه بأساليب أخرى مثل التعتيم والتجاهل والإقصاء !!

لو ظل المسيرى ماركسيا ، أو لو لم ينتج الموسوعة ، لكان " نجمك المفضل " في التلفزة والإذاعة والسلطة ، والمؤتمرات ، والندوات ، ومؤسسات النشر الرسمية ، ولكنه تمرد على الماركسية والسلطة جميعا ، وتحدث عن الإسلام – العدو اللدود للنظام الأميركي وأتباعة – وصار منسقا لحركة " كفاية " !

بالطبع فإن إباء لمسيرى دفعه لشكر من تعاطفوا معه ، وأعربوا عن رغبتهم في المساعدة لجمع تكاليف العلاج ، وهذا يحسب له بكل تأكيد ، ويعبر عن عفة نفس ، وهمة عالية ، وكرامة حقيقية لا تتوفر لمثقفي الحظيرة وأشباههم ، الذين تتقلهم الطائرات فورا للعلاج على حساب الكادحين والبسطاء الذين لايجدون شريط أسبرين مجانيا في مستشفيات السلطة ووحداتها الصحية !

ذات يوم كتبت – بمبادرة منى – رسالة في بريد الأهرام – أيام كان مفتوحا للناس جميعا – عن مرض عضال أصاب الكاتب والأديب الإسلامي العظيم نجيب الكيلاني – رحمه الله – وكنت قريبا منه ، وتمنيت لو أن أحدا من المسئولين في السلطة أو الصحة يبادر بعلاجه على نفقة الدولة ، خاصة وأن الرجل أنفق كل مدخراته على الأدوية والتشخيص ، ولكنها كانت صرخة في واد . وفي الوقت نفسه تقريبا ، كانت طائرة تتحرك على حساب الدولة تنقل ممثلا مشهورا – رحمه الله – إلى عاصمة أجنبية للعلاج على نفقة الفقراء البائسين ، وكان المذكور يملك الملايين من عائد أفلامه ومسلسلاته وشركات إنتاجه !

أما نجيب الكيلاني ، فقد تكفلت دولة عربية – تستحق الشكر والامتنان – بعلاجه في أرقي مستشفياتها التخصصية ، ووفرت له ولمرافقيه تذاكر السفر والرعاية اللازمة ، اعترافا بفضله وقيمته اللتين ينكرهما مثقفو الحظيرة من خدام النظام البوليسي الفاشي !

والمفارقة أن هؤلاء الخدام لايوجهون كلمة شكر إلى الدول العربية التي ترعى مثقفينا دون منّ أو أذى ، بل يوجهون – في جليطة مرزولة – إلى هذه الدول سهاما طائشة مسمومة ، بحجة الوطنية !!دون أن يقولوا للنظام الذي ألبسهم البيادة البوليسية ، والبالطو الأصفر إياه ، وجعلهم يمسكون الخيرزانة إياها؛ عيب !! إن الواجب عليك يانظام أن ترعى كل المواطنين ، المجهولين قبل المشهورين ، بدلا من التشفي والانتقام الرخيص من الخصوم ،والإنفاق السفيه على المؤتمرات الحريمي وأشباهها التي لا جدوى منها ، وتتكلف تغطياتها الإعلامية (بند واحد فقط) الملايين !

عبد الوهاب المسيرى صاحب حق في العلاج بوصفه مواطنا قبل أن يكون مفكرا ، ومثله بقية المصريين ، ولكن الذين يتكلمون عن " المواطنة " ليل نهار ؛ يقصدون الأقلية المستبدة الحاكمة وخدامها من المثقفين وغيرهم .. وهنيئا لمثقفى الحظيرة !

***

- رحم الله عبد الوهاب المسيري ، فقد لقي ربه بعد كتابة هذا الموضوع بوقت غير قصير .

الإسلام .. ومؤسسة الخرافة!

كنت أعتزم أن أجعل عنوان هذا المقال " الإسلام والإظلام !" ، على أساس أن مثقفي السلطة من اليسار المتأمرك ؛ قد جعلوا " الإظلام " مرادفا للإسلام ، أو الاسم الكودي له ، يتداولونه في كتاباتهم ،ويكنّون به عن عقيدة الأغلبية الساحقة من الشعب المصرى ، بل الشعب العربي ، بل الشعوب الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها .

بيد أن القوم وهم يخترعون كل يوم اسما مجازيا للإسلام – عدوّهم الأول – وهدفهم الاستراتيجى الذي يسعون إلى استئصاله بالتحالف مع الحكومات البوليسية والعسكرية الفاشية التي يخدمونها ؛ قد اخترعوا اسما جديدا للإسلام يضاف إلى قائمة الأسماء التي صكوها من قبل على امتداد ستين عاما تقريبا ، ومنها على سبيل المثال : الرجعية ، السلفية ، الجمود ، الأصولية ، الماضوية ، الإسلاموية ، التراثية ، التطرف ، الإرهاب ، التشدد، الغيبية ، اللاعقلانية ...إلخ.. الاسم الجديد الذى أضافوه ، هو مؤسسة الخرافة "!

الشيوعى الحكومى الذى المتأمرك ربط بين الإسلام والخرافة في ندوة انعقدت مؤخرا بنقابة الصحفيين تحت عنوان حرية التعبير ، فسمى الإسلام بمؤسسة الخرافة .. أو سمى المؤسسات العلمية الإسلامية بهذا الاسم لتكون قرينا للبدائية والتخلف والعيش في الأوهام !

ومشكلة الشيوعيين المتأمركين من خدام الأنظمة المستبدة وأبواقها ؛ أن مشكلات المجتمع لا تجد لديهم مساحة واسعة أو ضيقة ، مع أنهم بنوا دعايتهم في الزمن الذي مضى على تبنى قضايا العمال والفلاحين والكادحين .. وللأسف ؛ فقد صارت هذه القضايا في مؤخرة اهتماماتهم ، بل إنهم إذا أشاروا إليها فمن باب " برو العتب " ، وذرّ الرماد في العيون ، ولم يبق سواهم في العالم كله يعلنون أنهم " شيوعيون " ، وأن " الشيوعية " لم تمت ، بل

إنهم يسخّرون بعض صبيانهم للدعوة عبر الرسائل الألكترونية إلى قراءة ماركس ولينين وأنجلز ، والاستمتاع بفكرهم " المستنير !".

قبل أيام كنت أطالع السيرة الذاتية لشيوعي حكومى يعمل في الصحافة ، وتناول فيها زملاءه في المرحلتين الناصرية والساداتية ، داخل السجون ، وعواصم الغرب ؛ فإذاهو يقدم شريحة انتهازية رخيصة ، تسعى للكسب الرخيص لدى الحكومات العربية المستبدة ، ولا تجد غضاضة في مدح هذا المستبد أو ذاك الطاغية ، طالما أنه يدفع ويطعم ، ومع أن صاحبنا ، حاول أن يجعل من نفسه " قديسا !" وسط مجموعة من الشياطين ؛ فقد انتهى به المطاف إلى أن أصبح واحدا منهم ، ثم يكشف عن نقطة خطيرة للغاية وهي أن الشيوعيين باستثناء أفراد قلائل ، أنفقوا من ميراثهم على الحركة الشيوعية ؛ أما أغلبيتهم الساحقة فقد اتخذت من الشيوعية وسيلة للكسب والارتزاق لدى حكام القهر والهزائم الذين جلبوا العار على الأمة ، وجعلوها قصعة الأمم ..

لقد ظل الشيوعيون وأشباههم على مدى ستة عقود تقريبا يسيطرون على الصحافة والثقافة والفكروالإعلام والتعليم في كثير من البلاد العربية ، باستثناء سنوات قليلة وبلدان قليلة ، فأفسدوا العقل العربي الإسلامي بخرافاتهم وأكاذيبهم ودعاياتهم عن الطبقة العاملة وحقوق الكادحين والمساواة بين الناس ، مما أفقد الشعوب قدرتها على المقاومة ، وجعلها تخضع للطغاة المستبدين ، وتستسلم للهزائم الداخلية قبل الهزائم الخارجية .

لم ينس الشيوعى الحكومى أن يدين الصحوة الإسلامية ، وأن يدين الإسلام في أكثر من موضع ، وإن حاول أحيانا أن يقنعنا "بالعافية "أن الشيوعية ليست ضد الدين ، وهو يعلم أنه كذاب أشر ! ثم إنه راح يقدم عملاء الاستبداد وخدامه من المفكرين والكتاب المحسوبين على الشيوعية وأشباهها على أنهم الرواد والطلائع الذين جاءوا بفكر الاستنارة وقاوموا الفكر الرجعى المتزمت (يقصد الإسلام !) .

في فيلمه الجديد ، " مرجان أحمد مرجان " ، يقدم عادل إمام ، وهو محسوب على اليسار الحكومى ؛ مناضلى الشيوعية أو مثقفيها – وهم بالطبع مثقفو السلطة – في صورة الانتهازيين الذين لديهم استعداد لبيع كل شىء في سبيل الحصول على المناصب والمغانم ، ولا يصمد في مواجهة الترهيب والترغيب ، إلا الدكتورة جيهان ، الأستاذة الجامعية التى حافظت على مبادئها وقيمها .

المفارقة أن عادل إمام يقدم الحركة الإسلامية ، وبالتالى الإسلام ، في صورة هزلية مقزّزة ، مسكونة بالجهل والتعصب ، ويحرص على إبراز ذلك في الإعلانات التى يروج بها للفيلم على القنوات الفضائية والمحلية .

ويبدو أن من اقتبس الفيلم أو من ينسب إليه الفيلم – وهو عادل إمام – حريص على مغازلة النظام البوليسي الفاشي بهجاء المثقفين الذين يعملون في خدمته ، وفي الوقت نفسه ، يقدم الغاية الأساسية من الفيلم وهى تصوير الحركة الإسلامية في صورة " أهل الخرافة " ، أو بناة " مؤسسة الخرافة " كما سماهم االصحفي الشيوعى الحكومى في ندوة نقابة الصحفيين !

بالطبع يتناسى أصحاب مرجان ،أن الحركة الإسلامية تعتمد في معظمها على خريجى الكليات العملية التى تعتمد التجربة والبرهان ، والمقدمة والنتيجة ، وتضم كليات الطب والهندسة والعلوم والسياسة والاقتصاد والآداب والحقوق . وغيرها ، وهؤلاء لا يقبلون الخرافة ولا يرتضونها ، ولا يستكينون لمعطياتها .

ثم إن أصحاب مرجان نسوا أو تناسوا ، أن الذين عُلّقوا على المشانق والعرائس ، ولم يخدموا الأنظمة الاشتراكية أو البعثية أو التقدمية أو الكتاب الأخضر ، كانوا من أهل الإسلام ، وكان إنتاج بعضهم العلمى والفكرى في مقدمة الإنتاج الذى يفاخر به المسلمون ، بل العالم في القرن العشرين .

فأين هي مؤسسة الخرافة أيها الشيوعى الحكومى ،ألذي ألقى إليه النظام البوليسي الفاشي بوظيفة في الصحيفته الحكومية الممولة من أموال الكادحين ليهنأ آخر الشهر بألوف الجنيهات التى حولته إلى أرستقراطى غير أصيل ، لا يملك أخلاق الأرستقراط ولا نخوتهم ؟

لقد انسحب بعض المشاركين في الندوة التي تتناول حرية التعير ، لأن المادة الثانية من الدستور المصري التي تتحدث عن الشريعة الإسلامية بوصفها مصدرا للتشريع تعوق الإبداع وتعطله .. ولا أدرى هل الكتابة عن تزغيط البط تمثل إبداعا ؟ وما ذا قدم الشيوعيون الحكوميون المتأمركون من إبداع على مدى تاريخهم الذي تبلور مع قيام الكيان الصهيوني وهزيمة الأمة الإإسلامية ؟ إن كلمة " إبداع " كبيرة جدا ، ولكن الشيوعيين الحكوميين المتأمركين الذين يكفّرون المسلمين ويصفونهم بالمتأسلمين ، يستبيحون لنفسهم أمجادا لا يستحقونها ، وأفضالا لا يعرفون صناعتها .

هل كان المنسحبون من الندوة احتجاجا على المادة الثانية من الدستور ، يفعلون ذلك مثلا لو كانوا في اليونان أو إيطاليا أو ألمانيا أو بريطانيا ألتي تنص دساتيرها على الديانة المسيحية ومذاهبها ، دينا لها ومذهبا ؟

إن الشيوعيين الحكوميين المتأمركين في بلادنا يكذبون على أنفسهم ، قبل أن يكذبوا على الناس ، ويكفى أنهم يعملون من باطن الحكومة ، ليفسدوا المقاومة الشعبية للاستبداد والأحكام العرقية والفساد والقوانين المصنوعة لتابيد الذل والقهر على أرض المحروسة ..

وكم ذا بمصر من المضحكات ولكنه ضحك كالبكا !

***

بإذنه تعالى سوف ينتصر الإسلام

يبــدو – والله أعلــم – أن فــوز حــزب العدالــة التركــى فــى الانتخابــات التشــريعية ٢٠٠٧/٧/٢٢م ، قد أصـاب العلمانيين فـى العـالم الإسـلامى ، والعلمـانيين العـرب خاصـة ، بصدمة لم يتوقعوها ، فقد ظلوا مذ جاء السفاح الفرنسي نـابليون بونـابرت فى حملتـه الوحشية علـى مصـر والشـام ١٧٩٨م وحتـى اليـوم ، وفـى ظـل رعايـة صـليبية اسـتعمارية وحشـية ، يُحاولون استئصال الإسلام من النفوس والقلوب والعقول . وتروحت هذه المحاولـة بين العمل الدءوب الهادئ فى مجالات شتى بطرق غير مباشرة لزعزعة ثوابت الإسلام وعوامل ازدهاره ، والعمل الطـائش المتسرّع الذى كان يأخذ شكل انقلابـات عسكرية أو بوليسية تفرض بالحديد والنار قيما مخالفة لمنـاهج الإسـلام ، فـى الحريـة والشورى والعدل والكرامة الإنسانية . وكانت تركيا (آخر عاصمة للخلافة الإسلامية) النموذج الأوضـح والأسرع ، فـى تحويل المسلمين إلـى " خواجـات " بقـوة السـلاح والـبطش والكـذب ، وعـاش المسـلمون الأتـراك فـى رعـب مـن الغـازى " أتـاتورك " – أبـو الأتـراك – حتـى يومنـا هـذا ، ولكـن أعمـاقهم كانـت مشـدودة إلـى الكعبـة الزهـراء وإلـى المسـاجد التـى حرّم فيهـا الغـازى الأذان باللغـة العربيـة ، وجعـل خطبـة الجمعة بالتركية ، وفرض العرى على النساء ، وأصرّ على إلقاء الطربوش والعمامة ، ليرتدى الناس " القبعة الأوروبية " .. وألغى اللغة العربية فى التعليم والكتابة ، وجعل الحرف اللاتينـى والمعجم الهجين الـذى ينبـذ الألفـاظ العربيـة ، ويضـع مكانهـا مقـابلاً غريبـاً مـن لغـات فرنسـا وإنجلترا وألمانيا .. وجعل الإجازة الأسبوعية يوم الأحد بدلاً من الجمعة ، وحرّم هو وتلاميذه الحجاب فـى المدارس والجامعات والمؤسسـات الرسمية ... حتـى صـار الغراب يقلد الحمامـة تماماً ، فلا صار حمامة ، ولا عاد إلى أصله الغرابى .!

كانـت مفاجـأة العـالم أن الشـعب التركـى المسـلم الـذى فـتح القسـطنطينية ، رمـز الإرهـاب الصـليبى الاسـتعمارى الوحشـى ، مـازال يُحـب أبـا أيـوب الأنصـارى ، ومـازال مسجد " الفـاتح

الأول " مزاراً يومياً يزوره مئات الأتراك فى استانبول (الآستانة) بمناسبة الختان أو الزفاف ، ولهم فى ذلك تقاليد رائعة وجميلة تحدثت عنها فى مناسبة أخرى .. بل إن السياح الأوربيين والأجانب ، يُصرّون على زيارة مسجد أبى أيوب الأنصارى أول مضيف للنبى – صلى الله عليه وسلم – عندما هاجر إلى المدينة المنورة ، وذهب إلى القسطنطينية (استانبول) ليُشارك فى جيش الفتح فى عهد يزيد بن معاوية ، وأصر – وقد جاوز الثمانين آنئذ – على المشاركة فى الجهاد ، وطلب – وهو يحتضر – أن يُدفن على أسوار المدينة التى انطلقت منها جيوش الروم الهمجية لتحارب الإسلام والمسلمين ، وعندما منّ الله على " محمد الفاتح " بفتح القسطنطينية ، كان أول ما فعله ، هو نقل رفات " أبى أيوب " إلى داخلها ، ودفنه فى ترابها ، وتشييد مسجد آية فى الروعة بجوار قبره ..

الأتراك المسلمون يُحبون أبا أيوب ومسجده ، ويزورونه فى المناسبات الإسلامية والاجتماعية ، ولعل ذلك كان دليلاً على رفضهم للغازى الذى استسلم للإرادة الصليبية الوحشية ، وحاول استئصال الإسلام بالقوة المسلحة إرضاء لسادته ، وبعد سبعين عاماً صارت شوارع استانبول تعج بالمحجبات ، ومدارس القرآن يتزايد عددها فى كل مكان ، وحزب العدالة الإسلامى يحصل على أغلبية أصوات الناخبين ، ويشكل الحكومة منفرداً !

وإذا كان بعض المسلمين فى بلادنا العربية يتمنى أن يحدث عندنا ما حدث فى تركيا مؤخراً ، فإنى أقول لهم : بإذنه تعالى سينتصر الإسلام ، ويذهب أعداؤه وخصومه والنخب المتغربة وخدام الهيمنة الصليبية الاستعمارية التى تبسطها أمريكا الشيطان الأكبرإلى حيث لا يرجعون . فلله جنود السموات والأرض ، ومنهم ملايين الشباب المسلم الذى يصنع الحرية والنهضة والأمل .

إن الغرب الصليبى الاستعمارى يعلم جيداً أن الإسلام هو العقبة الكئود التى تقف فى طريقه لنشر القيم الفاسدة والوثنية الجديدة التى تقوم على عبادة المال والقوة ، والإسلام هو المانع الذى يتصدى له وهو ينهب ثروات الشعوب الإسلامية ، وخاصة " البترول " الذى شنَ من أجله حربين وحشيتين ، ضد شعب الأفغان المسلم ، وضد شعب العراق المسلم ، ويمكن أن نضيف إليهما الحرب بالوكالة ضد لبنان فى صيف ٢٠٠٦م ، والحرب الدائمة ضد الفلسطينيين ، وضد حماس بالذات ..

سوف ينتصر الإسلام بإذنه تعالى بالصبر والجهاد الحقيقى ، وتجاوز المحن والآلام مهما اشتدت وعظمت .. لقد كان من اللافت للنظر أن تصرح وزيرة الإسكان الفرنسية ، وهى سياسية بارزة فى نوفمبر ٢٠٠٦م بأن الرئيس جورج بوش رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ضالع – على الأرجح – فى تدبير هجمات سبتمبر ٢٠٠١م التى أصابت عدة مدن أمريكية وأوقعت آلاف الضحايا (الأهرام ٢٠٠٧/٧/٨م) .

ومما يؤكد ذلك أن بوش اتخذ من الهجمات ذريعة لشن الحرب مباشرة على بلدين إسلاميين ، دون تحقيق دولى نزيه ، يثبت مسئولية هذه الجهة أو تلك ، ولكنه أطلق أبواقه لتتحدث عن " فزّاعة " اسمها " الإرهاب " أو " القاعدة " أو " الزرقاوى " . لقد طالب محمد حسنين هيكل فى " وجهات نظر " عقب الأحداث ؛ الدول العربية أن تسعى إلى إيجاد جهة محايدة تحقق فى أحداث سبتمبر ٢٠٠١م ، ولكنه هذه الدول لم تفعل ، ورضخت للإرادة الصليبية الاستعمارية ، التى جاءت بجيوشها الجرارة لتسرق النفط فى بحر قزوين والعراق – ولاحقا إيران – وكانت طلائع التنصير (يسمونه تبشير) فى مقدمة الجيوش الصليبية الاستعمارية المتحالفة ، حتى كوريا الجنوبية شاركت بمنصّريها فى أفغانستان (اعتقلت طالبان مجموعة منهم مؤخراً وتُفاوض بهم لإطلاق سراح أفغان معتقلين) .

وللأسف ، فإن النخب العربية المتغربة ، كانت أكثر حزناً ولوعة وحرقة بسبب فوز الإسلاميين فى تركيا ، وأرجعوا نجاحهم لنشاطهم فى التنمية الاقتصادية ، وليس إلى تدينهم وعفتهم ونزاهتهم وترفعهم عن سرقة شعبهم أو الاستدانة من دول الاستخراب الصليبى المتوحشة .. والسؤال هو : لماذا لم تنجح حكوماتكم العلمانية التى تعترّ من الإسلام فى تحقيق تنمية اقتصادية فى البلاد العربية ؟ بل لماذا تخاف هذه الحكومات من إجراء انتخابات نزيهة دون تزوير كما فعل الأتراك ؟

شاعر شهير ينتسب إلى فلسطين ويحمل الجنسية العبرية ، قال لمحررة هاآرتس " داليا كيريل " فى ملحقها الصادر فى ٢٠٠٧/٧/١٣م إن أصولية حماس لا تُخيفه سياسيا ، ولكن تُخيفه ثقافيا لأنها تميل إلى فرض آرائها على الجميع ، وتؤمن بالديمقراطية لمرة واحدة للوصول إلى صناديق الاقتراع والحكم فقط .

ثم وصف الأصوليين (يقصد الإسلاميين) بأنهم كارثة على الديمقراطية ، ورأى أن ديمقراطيتهم مناقضة للديمقراطية ! هذا ما قاله الشاعر الشيوعى السابق " المتأسرل " الحالى ، الذى يتكلم عن الغزاة النازيين اليهود بكل ود ورقة وتحضر ..! وتكافئه دول عربية بجوائزها وتحتفى به حفاوة غير عادية !

واسأله ما رأيه فى الديمقراطية التركية التى أجراها الأصوليون " مرتين " حتى الآن ؟

بإذنه تعالى سينتصر الإسلام ، وستنهزم النخب العلمانية التى تحاربه فى بلادنا .. لأنها تنطلق من مصالحها الخاصة ، وإشباع غرائزها الحيوانية . دون أن تضع فى حسبانها مصالح بلادها وحريتها واستقلالها وحماية ثرواتها ، فضلاً عن كرامتها .

***

العلمانية ضد الإسلام وحده!

أول تطبيق للعلمانية كان في فرنسا . وقام على أساس الفصل بين الكنيسة (السلطة الروحية) ، والدولة (السلطة الزمنية). وليس في الإسلام كنيسة أو سلطة روحية .

سبق ذلك صراع عنيف بين آباء الكنيسة ، والقوى الحية في المجتمعات الأوربية . كان صراعا مريرا ، ودمويا في بعض الأحيان ، وكان من أبرز ملامحه العداء للعلم والعلماء ، وقتل بعضهم أو حرقه نتيجة لما توصل إليه من نظريات مثل دوران الأرض ، واتهام البعض الآخر بالهرطقة من خلال محاكم التفتيش وكان من ضحايا هذا الصراع (كوبرنيكس – جردانو– ديكارت – سبينوزا – جون لوك) حيث أدت الاتهامات إلى قتل البعض أو حرقه حتى الموت أو الحرمان الكنسي من الدنيا والآخرة !

لقد تحول رجال الدين المسيحي في أوربة (لا يوجد في الإسلام رجال دين) إلى طواغيت ومحترفين سياسيّين ومستبدّين تحت ستار الإكليروس والرهبانية والعشاء الرباني وبيع صكوك الغفران (راجع الموسوعة العربية الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة – ص٣٦٧وما بعدها) .وقد رافق الدعوة إلى العلمانية التى تعني حرفيا (الدنيوية) أو (غير الدينية) أو قيام الحياة على أساس غير ديني وخاصة المجال السياسي ؛ بعض الظواهر والنظريات ، مثل مبدأ العقل والطبيعة ، وما يسمى بعصر التنوير الذي مهد للثورة الفرنسية ، ونظرية التطور لتشارلز داروين ، وفلسفة نيتشه التي أعلنت موت الإله وحلول " السوبر مان " مكانه ، بالإضافة إلى نظريات دور كايم وفرويد وماركس (لاحظ أنهم من اليهود جميعا!)وجان بول سارتر وكولن ولسون (الوجودية واللامنتمي) .

ولعل الخديو إسماعيل الذي كان مفتونا بالغرب ؛ أول من اتجه نحو علمنة الدولة حين اعتمد القانون الفرنسى ، سبقته الهند حيث بدأت فى الإلغاء التدريجى للشريعة الإسلامية بوحى من الغزاة الإنجليز حتى تم الإلغاء فى أواسط القرن التاسع عشر ، وكانت تركيا (دولة الخلافة) أبرز من طبق العلمانية صراحة عقب إلغاء الخلافة فى ١٩٢٤م ، وتوالى إلغاء

الشريعة فى معظبم بلدان العالم الإسلامى .. وظهرت نخب ثقافية خائنة للإسلام والمسلمين جعلت ولاءها الأول للغرب الصليبى الاستعمارى ، ونادت – ولما تزل – بالقضاء على كل أثر للإسلام فى الفكر والسلوك على مستوى الحكومات والأفراد .

وفى أوائل القرن العشرين تنبه عدد من الكتاب والعلماء الإسلاميين لعواقب عزل الإسلام واستئصاله من الحياة ، وكان فى مقدمتهم " محمد رشيد رضا " – تلميذ محمد عبده – وعبد العزيز جاويش ..

وقد ظهرت على مدى القرن العشرين عشرات الكتب والدراسات التى تتناول العلمانية وعداوتها للإسلام وتأثيرها المدمّر على الإسلام والمسلمين ، حيث بدت أهم ملامح هذا التأثير فى تمزيق الأمة الإسلامية وشرذمتها وتخلفها وطمع الدول الصليبية الاستعمارية فى ثرواتها ومواقعها .. ولعل ما كتبه محمد عبد الله عنان وسفر الحوالى ومحمد محمد حسين وسيد ومحمد قطب ومحمد البهى ، أبرز ما أُلف فى هذا السياق .

ومع أن الصراع فى الغرب بين الكنيسة والدولة ، انتهى بانتصار العلمانية ، وتحول أعداد كبيرة إلى الإلحاد ، فقد تمت تسوية الأمر فيما بعد بنوع من التصالح بين الطرفين ، واستمرار الكنيسة فى أداء دورها الروحى ، بل إن الكنيسة البروتستانتينية فى إنجلترا وألمانيا ، وتبدو أكثر تحررا من بقية الكنائس ، جعلت قيادتها للملك أو الملكة فى لندن ، وملكة إنجلترا هى الرئيس الفعلى للكنيسة البروتستانتينية وهى التى توقع قرار تعيين أسقف كانتربرى وغيره من الأساقفة فى شتى أرجاء البلاد .

ثم تحول التصالح بين الكنيسة والدولة إلى تحالف بين الطرفين ، تقوم فيه الكنيسة بدور المرشد والموجّه ؛ خاصة في السياسة الخارجية ،وفى الفترة الاستعمارية ، لعبت الكنيسة فى الغرب – أيا كان مذهبها – دوراً رئيسياً فى القيام بدور طليعى استكشافى ، مهمته رصد الواقع فى الأراضى المرشحة للاحتلال ، فضلاً عن القيام بالمهمة التقليدية وهى التنصير ، أو التشكيك فى الدين الإسلامى وثوابته عن طريق استقطاب العملاء من النخب الحاكمة أو المهيأة للحكم ، لقد بدا أن هناك نوعاً من التحالف الوثيق بين الطرفين (الكنيسة والحكومة فى الغرب) ، لعبت بموجبه الكنيسة خاصة فى القرن العشرين دوراً مكملاً لدور الحكومات ، وخاصة فى توطيد الوجود الاستعمارى فى البلاد المحتلة من خلال المشروعات الخيرية فى المستشفيات والمدارس والجمعيات الأهلية ، ثم تطور هذا الدور فى الربع الأخير من القرن العشرين ليكون دوراً سياسياً مباشراً وعلنياً ، واذكر فى هذا السياق ثلاث وقائع قريبة إلى الأذهان ..

الأولى :

تبرئة اليهود من دم المسيح عليه السلام ، وفقاً للمعتقدات النصرانية التى تقول بأنه قُتل بعد صلبه ، وتبع الاعتراف بالكيان النازى اليهودى فى فلسطين المحتلة .

الثانية :

قيام الفاتيكان بمنع المطران هلاريون كابوتشى مطران القدس المحتلة ، من حضور مؤتمر القمة الإسلامية الثالث ضمن وفد منظمة التحرير الفلسطينية برئاسة ياسر عرفات .

الثالثة :

مشاركة الفاتيكان فى عهد البابا يوحنا بولس الثانى فى تفكيك النظام الشيوعى فى بولندا ومقابلته لزعيم منظمة تضامن البولندية (ليش فاونسا) بمقر الفاتيكان فى جلسة خاصة ، ولم يُعلن عن مضمون ما دار فى هذا الاجتماع حيث ظلت تعليمات البابا لفاونسا سرّية ، ولم يكشف عنها النقاب إلا بعد سقوط النظام الشيوعى (راجع الصحف العربية الصادرة فى ١٩٨١/١/٢٨م) .. وبالفعل فقد تكشف أن هناك تعاونا بين البابا والرئيس الأمريكى الراحل " رونالد ريجان " – وهو صليبى متعصب – وليش فاونسا ، استطاعت بموجبه منظمة تضامن أن تُسقط النظام فى بولنده ، ومن بعده كرّت عجلة السقوط فى أوروبا الشرقية الشيوعية والاتحاد السوفيتى نفسه الذى تفكك إلى مجموعة من الدول التى أقامت أنظمة غير شيوعية .

هناك عشرات الوقائع التى تؤكد تلاحم الكنيسة مع السلطة فى الغرب لصالح الصليبية فى العالم ، وبمساعدة الحكومات الغربية ، ومنها بالطبع حكومة الولايات المتحدة .

وللأسف الشديد ، فإن الكنيسة المصرية الأرثوذكسية ، التى تعد أقرب الكنائس إلى المسيحية فى حالتها الأصلية ، وظلت على مدى قرون من الزمان مستقلة عن الكنيسة الرومانية وغيرها ، وقعت فى فخ هذا الاتحاد الذى يحمل صبغة صليبية استعمارية ، لا تمت للمسيحية الغرّاء بصلة ، ولا تعبّر عن قيمها الإنسانية التى تقوم على المحبة والتسامح .. ولعل لانضمام الكنيسة المصرية إلى هذا الاتحاد ، صلة بما يجرى الآن ومنذ عدة عقود على أرض الكنانة مما لاعهد لها به فى العلاقة بين المسلمين والنصارى !

وقد رأى العالم مؤخرا موجات التعصب المسيحى التى طفت على سطح الحياة الغربية بصفة عامة ، وأمريكا بصفة خاصة ، وسمع الناس عن الوحى الذى يتنزل على " جورج بوش " ليقتل المسلمين فى أفغانستان والعراق والصومال وفلسطين باسم محاربة محور الشّر .. فأين هى العلمانية من السلطة فى الغرب ؟

إن العلمانية هناك لم يعد لها وجود مؤثر وفعّال ، بقدر ما صارت منهجا لخدّامهم فى العالم الإسلامى ، لاستئصال والقضاء على ثقافته ، وإلغائه من الوجود ، سواء فى مناهج التعليم أو أجهزة الإعلام أو وسائط الثقافة أو عناصر السياسة والاقتصاد والتشريع الاجتماعى .

إن النخب الثقافية فى العالم الإسلامى ، ومعها أجهزة الأمن والقوات المسلحة فى معظم بلاده ، تخوض حربا شرسة ضروسا ضد الإسلام ، لحساب الغرب الصليبى الاستعمارى المتوحش وثقافته الدموية الإجرامية التى تقوم على النهب والتسلط والعنصرية .. وللأسف فقد صارت العلمانية هى الراية التى يجتمع تحتها كل عدوّ للإسلام والمسلمين ، وكاره للإنسانية والسلام .

***

المقاومة الشعبية لاستئصال الإسلام !

تربع السادة مثقفو الحظيرة من اليسار المتأمرك ، فى أحد البرامج بقناة فضائية يملكها رجل قروض ، وراحوا يُقدمون وصلة هجاء مقذع للتدين الشعبى بوصفه رمزاً للإسلام وعلامة عليه . ومع أنهم – استخدموا مصطلح " ثقافة الميكروباص " وكنت أول من صك هذا المصطلح ، تعبيراً عن ارتماء مثقفى الحظيرة على بيادة النظام البوليسى الفاشى وتلميعها بهجاء الإسلام والتشهير به من خلال بعض القضايا الهامشية ، والانتقاء المتعمد لبعض الرموز الشاذة فى الفكر والسلوك ، وإشباعها نقداً وتجريحاً بوصفها رمزاً للإسلام والمسلمين .

السادة اليساريون المتأمركون أقاموا الدنيا ولم يُقعدوها ، لأن سائق الميكروباص قام بتشغيل شريط لواعظ يتحدث عن القطران المغلى والثعبان الأقرع كما زعموا ، وركزوا على الانفصام بين الفعل والقول ، أو السلوك والمعتقد لدى سائق الميكروباص وغيره .. ثم واصلوا وصلة الهجاء المقذع لكل من ينتسب إلى الإسلام بصلة ، حتى لو كان يسمع شريط قرآن بصوت قارئ خليجى يبكى فى أثناء القراءة . ولك أن تتصور ماركسياً سابقاً ، أو شيوعياً تأمرك يفتى بأن البكاء فى أثناء قراءة القرآن ، يجعل المستمع لا يحسن تأمل الآيات ، بل لا يتمعّنها ولا يُدرك أسرارها ، وكأن السادة الشيوعيين السابقين ، صاروا أئمة فى الوعى بالقرآن ، والعمل بما جاء فيه ويؤدون أركان الإسلام الخمسة ، ويقومون الليل ، ولم يشاركوا النظام البوليسى الفاشى ، فى حملته الاستئصالية لكل ماهو إسلامى ، تارة تحت مسمى " التنوير " أو " الاستنارة " وأخرى تحت مقاومة الظلام والظلامية ، أى الإسلام والإسلامية .

تمنيت من هؤلاء السادة المتأمركين ، الذين يشمئزون من الإسلام ، ويُكفّرون المؤمنين به فضلاً عن علمائه باسم " التاسلم والمتأسلمين " ، أن يبحثوا فى الظاهرة التى تشغلهم ، وتجعلها موضوعاً لمصطبتهم التلفزيونية فى قناة رجل القروض الذى تزوج مع غيره من رجال القروض السلطة ، وهو الزواج الذى أشاروا إليه باسم زواج " السلطة والثروة " .. والغريب الذى ليس غريباً أنهم حملوا على الإخوان المسلمين مثلاً ، لأنهم يُيسّرون علاج الفقراء ، ويُعلمون أبناءهم فى المساجد مجاناً حيث لا يقدرون على تعاطى الدروس الخصوصية لدى حيتانها ، الذين فرّختهم وزارة التعليم بقياداتها " الطليعية " على مدى ربع قرن من الزمان . ووصفوا ما يقوم به الإخوان فى هذا السياق بأنه عمل سياسى .. وهل منع أحد حزب السلطة أو حتى حزب الشيخ الصباحى العمل السياسى بالتيسير على الناس فى أمور العلاج والتعليم وغيرها ؟

كـان بـين الحاضـرين أسـتاذ فـى علـم الاجتمـاع ، يفتـرض أن يكـون علـى قـدر مـن الموضوعية أكثر من رفاقه الذين ركزوا على وصلة الهجاء للإسلام ، صحيح أنه حذر من مستقبل مظلم متفجر ، ولكنه لم يقل لنا أبداً لماذا يلجأ سائق الميكروباص إلى شريط القطران المغلى والثعبان الأقرع ، ولم يقل لنا لماذا تكثر النساء المنتقبات ، ولم يقل لنا لماذا يصرّ الناس فى بلادى على الاهتمام بالسنن والفضائل والمستحبات أكثر من الفرائض والواجبات والالتزامات فى التشريع الإسلامى ، ولماذا يهتمون باللحى الكثيفة وتقصير الثوب ولبس الساعة فى اليد اليمنى بدلاً من اليسرى .. لم يتطرقوا أبداً إلى سبب ذلك . إن رصد الظاهرة أمر مطلوب ، ولكن تفسيرها على أساس علمى لابد أن يعتمده أى باحث منصف يحترم الناس كلامه ويأخذونه مأخذ الجد ، فيناقشونه علمياً ، ويدرسونه موضوعياً .

اكتفى السادة اليساريون المتأمركون بأن ذلك نتيجة هبوب رياح الخليج ، جاءت مع الذين سافروا للعمل هناك ، فتشبّعوا بما رأوه هناك وسمعوه ، وراحوا يطبقونه فى مصر التى ماعرفت التشدد أو المغالاة .. وإذا كانت البيئة تؤثر على أهلها بطريقة ما ، فإنها لا تغير الوافدين إليها تغييراً جذرياً ، بل لا تؤثر فيهم اللهم إلا إذا كانت هناك عوامل أخرى ، قوية ومؤثرة ، تجعل استجابتهم للتغيير واردة ومقبولة ، وهذا مالا يُريد أن يفهمه أهل الاجتماع من الماركسيين السابقين أو المتأمركين الحاليين الذين يخدمون النظام البوليسى الفاشى !

قبل عام ١٩٦١م الذى صدر فيه قانون تطوير الأزهر رقم ١٠٣ ، كان فى مصر كلها فصل واحد فى معهد واحد من معاهد الأزهر الشريف (الابتدائية والثانوية) يدرس الفقه الحنبلى الذى يشيع فى معظم بلاد الخليج الآن . وكانت الأغلبية الساحقة من طلاب الأزهر تدرس المذاهب الثلاثة الأخرى : المالكية والحنفية والشافعية . وكان الطالب يتدرب على أن هناك آراء مخالفة له فى المذهب . بل إن المذهب الواحد فيه آراء متعددة ، بعضها راجح والآخر مرجوح ، وكان يدرس رأى أصحاب المذهب المخالف مسبوقا بلفظة السادة الأحناف قالوا كذا ، والسادة المالكية ، أو السادة الشافعية ، أو السادة الحنابلة لهم رأى يقوم على كذا وكذا .. وهو ما كان يجعل المناخ العام يتقبل كل رأى ولو خالفه ، ويُتيح مناقشته بطريقة علمية هادئة قائمة على الاحترام ، يستفيد منها صاحب الرأى ومخالفه جميعاً ..

بعد القانون المذكور ، انهار الأزهر ، وأوشك الآن على الضياع ، لأن التطور حمّل الطالب الأزهري فوق طاقته فهجر الطلاب الأزهر المعمور ، مما اضطر بعض قياداته إلى قبول طلاب التعليم العام ، ضعاف المستوى ، فضلاً عن كونهم لا يحفظون القرآن ، ثم دخلت تعديلات عديدة على المناهج أدت إلى تقليص المواد الإسلامية والعربية ، وانتهت مؤخراً إلى إلغاء فقه المذاهب فى المرحلة الإعدادية ، ونتج عن ذلك خريجون لا يفقهون دينهم فى الأغلب ، وخطباء لا يعرفون معنى الإسلام ، ولا تستقيم ألسنتهم لُغويا ، ويُشرّقون

ويُغرّبون بقصص لا يغنى ولا يُسمن .. بل إن بعض من صاروا أساتذة فى الأزهر اليوم نتيجة القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١م بحكم ثقافتهم الضحلة وبعدهم عن الواقع ، وحرصهم على جمع المال ، صاروا لا يعرفون معنى فقه الأولويات ولا مخاطبة الناس بمنطق يخدم الإسلام والمجتمع ..

أضف إلى ذلك كله ، ماتقوم به السلطة البوليسية الفاشية ، من مطاردة للتدين الحقيقى الذى يرفض الظلم والتزوير والاستبداد والقمع ، وإلغاء مادة التربية الدينية علمياً فى مدارس التعليم العام ، وإطلاق سلالة هنرى كورييل ومثقفى الحظيرة واليسار المتأمركين فى الصحافة والتلفزة والإذاعة لربط الإسلام بالإرهاب والتخلف والظلام .. واقرأ إن شئت على سبيل المثال ما كتبه أحدهم فى مجلة شهرية ، حيث كتب يقول : " لقد ظلت قوى الظلام (يقصد الإسلام) المعادية للإبداع والعلم ، تتربص بكل المكاسب التى حققتها قوى الإصلاح (أى الموالية للغرب) وهالها أن تنتصر القيم النبيلة ، وتسود تلك القيم التى لا يجدون فيها تربة صالحة لزرع أفكارهم الماضوية (يقصد الإسلامية) الداعية للخرافة والدجل وتغييب العقل ومعاداة الحرّيات .. واستطاعت فى غفلة تيار التنوير – استدعاء الماضى (يقصد الإسلام) بأفكار وفتاوى أسست لفكر أحادى يُقدس النصّ (يقصد القرآن الكريم) ، ويُكرّس الجهل والتبعية ، ويُحقّر من إرادة الإنسان ، ويُفرّق بين الناس ، ويُعادى الثقافة والعلماء والفن والحرية والإبداع والمرأة ، ويرفض الاختلاف ، ويدعى وحده امتلاك الحقيقة .... إلخ !

ما رأيك فيما يقوله هذا الكذّاب الأشر ، الذى تناسى أن السلطة التى يلمّع بيادتها ، تحارب الإسلام ، وتقدم " العوالم " على العلماء ، و" الغوازى " على الغزاة ، وتحرّم على المتدين الحقيقى أن يتولى أى منصب أو وظيفة لها قيمة ، وتضع بدلاً منه أمثال هذا الكاتب الشيوعى السابق ، المتأمرك الحالى ؟

إن التدين الشعبى بكل مافيه من خلل كان هو الردّ الطبيعى على الاستئصال الذى تمارسه السلطة البوليسية الفاشية ضد التدين الحقيقى ، وكان المقاومة الشعبية لنظام استسلم لأعداء الإسلام ، وإذا كان الشعب المصرى يرد على الاستبداد بالنكت والسخرية من المستبدين ، فإنه يُدافع عن إسلامه بالتدين الشعبى ، وفقا لنظرية الأوانى المستطرقة ، حيث إن الفراغ لابد أن يُملأ ، ويوم يعْدل النظام البوليسى الفاشى عن محاصرة الإسلام ، فسيعتدل الميزان ، ويعود التدين الحقيقى إلى مجراه الطبيعى .. الحرية هى الطريق إلى الإسلام الصحيح ، والإسلام الصحيح هو الطريق إلى الإصلاح والتغيير الذى يعزّ الأمة والوطن والمجتمع ، ولا غالب إلا الله .

***

الخلافة الأوروبية.. النار والبارود!!

لا أدري ما الذي يزعج خدَّام الاستعمار الصليبي الصهيوني من الحديث عن الخلافة الإسلامية، في حين لا يمسُّون بسوءٍ نظامَ الخلافة الأوروبية الذي يباركه الفاتيكان، ويبدي رأيَه فيمَن يدخل ومَن لا يدخل (تأمل موقفه من تركيا والبوسنة مثلاً).!!

الخلافة الإسلامية في أوجها صنعت حضارةً إنسانيةً راقيةً كانت أساسًا للمدنية الراهنة، وشهد بذلك المنصفون من المستشرقين وكتَّاب الغرب الشرفاء، ولكنَّ خدام الاستبداد والغرب الصليبي الصهيوني يصرُّون على أن الخلافة الإسلامية كانت رمزًا للحكم الثيوقراطي والاستبداد السياسي والقهر والقتل والقمع.

ومع أن الأحكام العامة آفةُ الموضوعية ومرضُ الفكر المنهجي العلمي فإن القوم- من خلال إرهاب الإسلام أو فوبيا الإسلام- يصرون على تشويه، بل تلويث كل ما يمتُّ للإسلام بصلة، لا تجد أمرًا ذا صلة بالإسلام إلا وهو ملعونٌ في أدبياتهم وكتاباتهم وكلماتهم.

وقد قبلوا أن يكونوا خَدَمًا في بلاط الدول البوليسية الفاشية التي تحكم العالم العربي والإسلامي، ويقودوا عملية التشهير بالإسلام، وإلصاق سلبيات الحكم الكنسي في العصور الوسطى به، ولم يجدوا غضاضةً أو وخزًا في ضمائرهم، وهم يرمزون إلى الإسلام بالإظلام أو الظلام، ويسمون الفكر الإسلامي بالفكر الظلامي، وقد تحدَّث بعض المسئولين مؤخرًا عن ضرورة مكافحة الفكر الظلامي، أي الإسلام ومعطياته.

لم ينظر القوم إلى ما سبق الوحدة الأوروبية المعاصرة أو الخلافة الأوروبية الراهنة من صراعات دموية راح ضحيتها ملايين الأوروبيين في الحربَين العالميتَيْن وحدهما، ناهيك عن القتال الشَّرِس الذي دار بين القبائل الجرمانية والوندال والساكسون وغيرها؛ مما أفقد الأوروبيين أعدادًا مهولةً من البشر؛ بسبب الهمجية التي حكمت تصرفاتهم وسلوكهم المتوحِّش الذي لا يعرف الرحمة ولا الإنسانية، ولماذا نذهب بعيدًا وقد صنعوا بالمسلمين في الأندلس بعد انتصارهم ما يندى له جبين الإنسانية؟! من خلال محاكم التفتيش في الضمائر، بل إن المسلمين الذين تنصَّروا (الموريسك) لم يتركوا منهم أحدًا إلا وقاموا بقتله أو استعباده، واقرأ إن شئت ما كتبه الراحل محمد عبد الله عنان، مستشهدًا بما كتبه الغربيون أنفسهم، وهو مخزٍ بكل المقاييس!!

ثم إنهم عندما أخذوا في استعمار العالم الإسلامي كانت وحشيتُهم تشهد بتفوُّق الحيوانات المتوحشة عليهم في الإنسانية، لقد قتلوا في يوم واحد على سبيل المثال أكثرَ من ٤٥ ألف جزائري مسلم خرجوا للتظاهر السلمي من أجل الاستقلال بعد الحرب العالمية الثانية، مثلما استقلَّت فرنسا عن ألمانيا النازية التي أذاقتها الويلات والموت، ولكن الطبيعة الاستعمارية المجرمة واحدة لا تتغيَّر أبدًا، بل انظر ما يجري في العراق

وأفغانستان وفلسطين ولبنان الآن، وما يحدث في غيرها بطريقة مباشرة وغير مباشرة.

والمفارقة أن بعض كتَّاب السلطة- وفي مقدمتهم طه حسين عميد الأدب العربي- لم يكتب حرفًا واحدًا عن دموية الاستعمار الفرنسي في الجزائر أو بلاد الشام، ولم يستنكر مذابح فرنسا التي استنكرها بعض الفرنسيين أنفسهم؛ ولذا نال وسام فرنسا بدرجة "فارس"، وهو ما يفعله الآن كتَّاب السلطة في بلادنا البائسة، وخاصةً من تلامذة هنري كورييل، حين ينحازون إلى الغُزاة ضد دينهم وأوطانهم وثقافتهم، ويدعمون النزعات الانفصالية في الدول العربية والإسلامية، فينالون بعض الجوائز، أو بعض الشهرة في أجهزة الدعاية لدى الحكومات القمعية في بلادنا التعيسة.

لم يتخلَّف خلفاء طه حسين إذًا عن فعل الشيء ذاته، وراحوا يركِّزون اهتمامهم في تصيُّد أخطاء بشرية لطغاة وجبابرة، مثل الذين يخدمونهم، وبرهنوا من خلالها على إخفاق الخلافة الإسلامية ودمويتها، بل إنهم وضعوا حركات العنف المضاد المحدودة الذي قامت به بعض الجماعات

***

الغوريلا .. تهجو الإسلام !!

لا أدري لماذا قفزت إلى ذهني صورة الغوريلا ، ذلك الحيوان الوحشي المخيف ، وأنا أطالع بعض الكتابات التي تهجو الإسلام وتحرّض عليه ، ولم تعد تجد في ذلك غضاضة أو خجلا ، مع أنها تطعن في دين الأغلبية الساحقة من أبناء هذا الوطن التعيس .. ويأتي الهجاء والطعن على صفحات دوريات يملكها هذا الشعب ، ويمول خسائرها دافع الضرائب المصري المسكين ، وهو الذي لا يفرط في دينه ولا يرضى بالطعن فيه.. بالطبع نحن لا

نلوم الغوريلا التي تهجو الإسلام بكل وقاحة وتتحدى المجتمع الإسلامي وقوانينه ، فضلا عن دستوره ، لأنها تستشعر أولا أن هناك نوعا من الحماية الخارجية التي يسبغها العدو الصليبي الاستعماري ممثلا في الولايات الأميركية المتحدة ، والمؤسسات المعادية للإسلام في الغرب بصفة عامة ، ثم هناك ثانيا الرضا الكامل من النظام البوليسي الفاشي الحاكم الذي يعتقد أن الإسلام هو عدوه الأول ، والخطر الأكبر على وجوده الفاشي ، حيث يمثل الإسلام عنصر المقاومة الوحيد الحي الباقي في الساحة ، لمجابهة الاستبداد والخنوع ، فضلا عن الفساد والإفساد اللذين صارا علامةمميزة للمرحلة الراهنة !

بشاعة الغوريلا لا تقتصر على شكلها الشيطاني الذي يوحي بالرعب والقبح – مع أنها قد تكون حيوانا طيبا لا يعقر أحدا عندما تمتلئ بطنه بالطعام – ولكن من يمثلونه من كتاب البلاط أو كتاب الحرملك ، أو الباحثين عن الرزق الحرام يعطونك هذا الانطباع بالتوحش والبشاعة ، وأنت تطالع وقاحتهم ضد الإسلام وقيمه وتشريعاته انطلاقا من مقولات كاذبة ، وتدليس متعمد ، وافتراء واضح.

حين تقرأ مثلا من ينفى أن يكون هناك فراغ ديني في مصر ، ويعتقد أننا نعاني من تخمة دينية انطلاقا من كون ما يسميه باللغة الدينية هي السائدة بشراسة في المجتمع وفي الصحف والمجلات وفي المترو ، في الميكروباصات ، في الأتوبيسات ، في التوك توك ، في الإعلانات ، في المؤسسات حين يأتي وقت الصلاة ، في المسلسلات ، في مناهج التعليم ، في مجلات الموضة ، في المسرحيات ، في الأفلام ، في ألعاب السيرك وألعاب الأطفال ، في المطبوعات الكثيرة ، في الجرائد والكتب الدينية التي تصدر يوميا وشهريا ، في نساء مصر اللاتي يرتدين الحجاب والنقاب ويذهبن إلى الدروس الدينية ، وحمامات السباحة (!!) حيث يجلسن ويقرأن القرآن بصوت مسموع ، وإذا نزلن إلى الماء يرتدين ما يوهات شرعية تخفى كل الجسم باللون الأسود ، والتخمة موجودة في مجمع البحوث الإسلامية الذي يصادر الروايات والمسرحيات والقصائد الإبداعية ، والتخمة موجودة في كل من هب أو دب يذهب إلى النائب العام يرفع قضية تكفير (!!)ضد المبدعين والمبدعات ، ويطالب بإسقاط الجنسية المصرية عنهم ، ومنع كتبهم من السوق ، وحظر سفرهم ، والتخمة الدينية موجودة في التيارات الدينية الإسلامية التي تمهد لإقامة الخلافة الإسلامية ، والتخمة الدينية موجودة في التاكسيات وشرائطها التي تشتم النساء ، وتطالب بحجز المقابر للآخرة ، التخمة الدينية موجودة في مشايخ الفضائيات المتأنقين الذين يقدمون الفتاوى للفتيات المحجبات الصامتات ، والأولاد المتأسلمين الذين يتكلمون بشكل يسبب الاكتئاب واليأس من ترسيخ التيار المدني في المجتمع ، والغثيان من اختراق سلطة القهر بالدين !!التخمة في الإنفاق على بناء المساجد وإعداد الدعاة الدينيين والتمويل الخرافي للمطبوعات الدينية من

جهات معروفة وغير معروفة .. لقد أغلقت اللغة الدينية – حسب الغوريلا – والمرجعية الدينية ، والمناخ الديني ، كل منافذ الهواء مما يؤكد أننا لسنا في فراغ ديني !

وتقول الغوريلا إننا نضع النقاب ليس على الرءوس فحسب بل على العقول ، والنقاب حالة أفراد فقدوا الزمن ' فهاجروا خارجه ، هربا من مجتمع ذكوري سيئ النظرات بذيء العبارات .

ثم ترى الغوريلا أن أساتذة التكفير يحتلون أرفع المناصب ، ويمثلون محاكم التفتيش ، ويتربصون بأصحاب الفكر والمبدأ والبحث في نوايا الكتاب والأدباء ويصادرون كتبهم وإبداعهم ..

وتقول الغوريلا إن المتطرفين الإسلاميين يدعون أنهم جند السماء فيرفضون القيم الأميركية المتحضرة ، ويفرضون قيم التخلف والبداوة والصحراء على الآخرين .... الخ

والذي يتأمل هذه المقولات التي تلح عليها الغوريلا في صحف لاظوغلي وصحف اليسار المتأمرك ، وكتابات مثقفي الحظيرة ، وكتبة البلاط ، وأغوات الحرملك .. يجد أنها تسير في سياق واحد ، لا يتغير ،، هو هجاء الإسلام ، والزراية به ، والرغبة الشيطانية في استئصاله من الوجود لحساب السادة المستعمرين والسادة المستبدين !

إننا بإزاء خلط عجيب ، وكذب مفضوح ، وتدليس بشع ، تؤكده أحوال الإسلام والمسلمين داخل مصر وخارجها ..إننا أمام هجاء رخيص لا يستحق عناء الرد والتفنيد لأنه يكشف عن نفسه ببساطة شديدة ، ويقول إنه ادعاء لا أساس له من الصحة ، لأن التخمة الدينية لو كانت موجودة بالفعل لتغيرت الأحوال ، وما كنا بهذا التردي الذي وصلنا إليه في ظل النظام البوليسي الذي لا يعرف التسامح أبدا مع الإسلام الفاعل والباني والمنتج ، أما والأمر غير ذلك فإن مقولات الغوريلا باطلة وغير صحيحة ..

والنقاش العلمي لهذا التخليط العجيب قد يطول ويمله القارئ، ومع ذلك فسوف نكتفي بالإشارة إلى نقطة بسيطة لكشف تهافت منطق الغوريلا وعدم عقلانيته ، واستناده إلى الديماغوغية التي تقوم على المغالطة والمغالبة ليس أكثر ..

لو كان لدينا تخمة دينية كما تزعم الغوريلا ، ما عانينا من انهيار اقتصادي ، ولا نقص في الإنتاج ، ولا تخلف في شتى الميادين حتى كرة القدم ، تتفوق علينا فيها موزمبيق ، كما تتفوق علينا في مجال التعليم الجامعي ! وذلك لسبب بسيط جدا ، وهو أن الإسلام دين علم وعمل ، وإتقان وإجادة ، وقد آثرت الحكومات المتتابعة منذ ستين عاما ؛عسكرية أو بوليسية ، أن تنفذ الإرادة الاستعمارية الصليبية بمطاردة الإسلام ، وتخليق نخب خائنة وموالية له تهجو الإسلام بمناسبة وغير مناسبة ، وتشكك في تشريعاته وتزري بأتباعه ، بل تقصيهم وتستأصلهم ، وتلقيهم في السجون ، وتعلقهم على أعواد المشانق ، وتحرمهم من مخاطبة

الناس ، وممارسة نشاطهم السياسي والاجتماعي مثل بقية خلق الله ، وقد رأينا ما فعله ديكتاتور تركيا يوم أسقط الخلافة وعلق علماء الدين على المشانق في الميادين العامة، وارتمي بكل قواه في أحضان الصليبيين الاستعماريين ، ونسى أن شعبه ، ومثله بقية الشعوب الإسلامية لا يمكن أن تفرط في دينها ، وهاهم الأتراك بعد ثمانين عاما يقولون للصليبيين وخدامهم من أمثال الغوريلا : لا.

وقد رأينا قبل شهور قليلة كيف قام النظام البوليسي الفاشي الذي تسميه الغوريلا دولة مدنية – أي علمانية – أي ضد الدين الإسلامي وحده، تلقى بالعشرات من الإسلاميين في المعتقلات والسجون ، وتحولهم إلى محاكمات عسكرية ، وتصادر أموالهم وتغلق مكتباتهم ، وصحفهم ودور النشر التابعة لهم ، دون أن تنطق الغوريلا من أي فصيل باستنكار ما حدث ، أو تقول إنه مخالف للمواثيق الدولية وحقوق الإنسان ، والدستور والقانون ، فضلا عن الشرائع السماوية .. وهو ما يدحض كل ما زعمته الغوريلا عن تخمة دينية لا وجود لها على أرض الواقع ، حيث يتم حصار الإسلام في كل المجالات في الصحافة والثقافة والإعلام والتعليم ، وحرمان من تشم فيه رائحة التدين من الوظائف المؤثرة فلا يدخل صحيفة قومية و، ولا جامعة ولا التلفزيون الرسمي ولا القضاء ، ولا كليات الشرطة أو الكليات العسكرية ، ولا حتى النوادي الرياضية المعروفة ..إن التعليم على سبيل المثال يجعل مادة التربية الدينية مادة نجاح ورسوب فحسب ،وحصة التربية الدينية مستباحة من بقية المدرسين الذين يجدون فيها فرصة لإعطاء دروسهم الخصوصية في المواد التي يدرسونها ، ولذلك يكون كتاب التربية الدينية هو الكتاب الوحيد الذي لا يفتحه الطالب إلا في ليلة الامتحان ؛ لأنه واثق أنه سينجح في هذا المادة بقوة السلطة ، سواء أجاب في الامتحان أو لم يُجب ، وبعد أداء الامتحان يلقيه الطالب في أقرب سلة مهملات ! فأين هي التخمة الدينية أيتها الغوريلا المتوحشة ؟

لو أن الغوريلا تأملت بعض المظاهر الدينية ، وخاصة في إطار الطبقة العامة ، لعرفت أن هذا في معظمه ينتسب إلى ما يعرف بالتدين الشعبي الذي يعبر عن مقاومته للسلطة المعادية لدينه وعقيدته بطريقته الخاصة ، حيث لا يملك النظام الفاشي للمحجبة شيئا ، ولا يقدر على هدم المسجد ، ولا يستطيع أن يمنع امرأة من النزول في الماء بكامل ملابسها السوداء أو البيضاء ..صحيح أنه يمنع علماء الدين الحقيقيين من صعود المنابر ، ويفضل عليهم الجهلة وعملاء ه، ولكن المصريين البسطاء يصنعون علماءهم وأشرطتهم ونماذجهم حتى لو ركزت على الهوامش والفضائل دون الفرائض والواجبات .. ويبقى لهم في كل الأحوال شرف المقاومة ، أما الذين يلمّعون بيادة النظام ، ويمنحهم صحفه وإعلامه لمهاجمة الإسلام وهجائه ، وتحتضنهم قوى الشر الصليبية الاستعمارية بالمال والدعاية والشهرة

والمؤتمرات والندوات في عواصم الغرب ؛ فهم في الخانة التي يعرفون اسمها ، ولا أريد أن أسميها ، وفي يوم ما ستنتصر إرادة الشعب على إرادة النخب العميلة ، وفي تركيا مثال ساطع لهذا الانتصار الذي لا بد أن تعرفه الأمة في يوم ما بإذنه تعالى .

***

فقه الحكومة .. وصلاة الجمعة !

البيت بيتهم والدار دارهم والدستور دستورهم والقانون قانونهم ، والفقه فقههم أيضاً .. كان المذيع اللزج يجلس فى برنامجه مع كاتب من كتاب البلاط ، واستعرضا أموراً عديدة ، أبدى فيها كاتب البلاط تأففه وتضجره واشمئزازه من صورة كاريكاتير مرسومة على حائط ، وتُبين أن الشياطين فى شهر رمضان المعظم أو المبجل على رأى صديقى الأديب الكبير " وديع فلسطين " ، يتم تصفيدها وتقييدها فلا تؤذى أحداً ، ولكن رسام الكاريكاتير ، رأى من وجهة نظره أن الشياطين الجنية المقيدة ، يقابلها شياطين إنسية مطلقة السراح فى التلفزيون ! وهى وجهة نظر معقولة للغاية ، حين يتبنى التلفزيون تصريحات الكذب والضحك على المواطنين ، وحين يقدم وجهة نظر شيطانية لا تعبّر إلا عن المستبدين والمستفيدين ، وحين يقصر

نجومه على من يسمونهم أهل الفن والكرة ،لدرجة أن أناشيد الأطفال تتغني بأحمد رمزي ورشدي أباظة ، وكأن مصر خلت من العلماء والمجاهدين والأبطال الذين لا يعلنون عن أنفسهم خارج الحقول والمصانع والمدارس والجامعات والمعمار ومصارعة الغلاء الفاحش والأيام البيضاء (..) والتمييز العنصرى ، طبقيا وفتويا ومهنيا ....

كاتب البلاط ، لم يدرس الظاهرة ، ولم يفسرها تفسيرا علميا ، ولكن اكتفى بوصمها بأبشع ما فى القاموس ، ودخل مع المذيع اللزج فى وصلة من الهجاء لأمثال هؤلاء الذين لا يرقبون فى مشاعرهما الحساسة ذوقاً ولا رقة ! ثم أراد المذيع أن يتوج غضبته المضرية على الرسم الساخر والتغطية عليه ، بالتنويه عن أمر يرفضه الناس جميعا قال إنه سيتناوله فى الحلقة القادمة ، وهو قيام فتاة بأداء أغنية اسمها " أحمد يا عمر " بذيئة الكلمات هابطة المضمون !

تذكرت مصطلحاً ورد على لسان ولد ضال فى أحد المسلسلات وهو يرد على أبيه أو يجيبه على سؤال يتعلق بقضية فقهية فقال : إنه فقه الحكومة ! أى إن هناك فقها وضعه أو استنبطه علماء الشريعة الحقيقيون ، وفقها آخر وضعه علماء السلطة وفقهاء الشرطة ، كما يسميهم الشيخ محمد الغزالى رحمه الله .

فقه الحكومة يتوقف عند الهامشيات ، ويحلل جرائم بعض المستبدين ضد شعوبهم ، وليته يقدم تفسيراً حقيقياً أو منطقياً ، ولكنه يتبنى على طول الخط رأى السلطة البوليسية الفاشية ، ووجهة نظرها حتى ولو لم تطلب هذه السلطة من أهل الفقه رأيا ولا فتوى .

وقد رأينا من يتطوع مؤخراً ويذكر أن شهر رمضان هو شهر مقاومة الشائعات ، ويكتب فى ذلك مقالات مطولة فى كبريات الصحف يتقاضى عنها الشيء الكثير ، ثم يعيد نشرها فى أماكن أخرى تخضع لهيمنته تحت هيمنته ليزداد العائد وتتضخم الأرصدة ، وتكثر القصور والفيلات ، والشقق التمليك .. مع أن مقاومة الكذب – وخاصة كذب السلطات الفاشية – مطلوب فى رمضان وغير رمضان وعلى امتداد العمر والزمان ، ولكن فقه الحكومة له تجليات عجيبة تثير الضحك والابتسام مع أنها تجلب فى النهاية الكآبة والبؤس والإحباط !

وقبل ذلك رأينا من يهتم بمسألة الختان ، ويبعزق أموال الدولة على نشر كتب تحرّمه – وهو من المباح الذى لم يرد فيه نص بتحريمه– ثم يشغل نفسه بما يسمى الأذان الموحد ، وبول الرسول صلى الله عليه وسلم ، وإرضاع الكبير ، دون أن يتذكر واحد منهم القتال أمام أفران الخبز ، الذي يموت من أجله أبرياء يبحثون عما يمسك الرمق !

فقه الحكومة لا يتطرق أبداً إلى حكم التعذيب فى السجون والمعتقلات ، ولا نهب أموال الدولة وتهريبها ، ولا بيع البلد بتراب الفلوس ، ولا الاقتراض بالربا من حكومات العالم ، ولا

إلقاء الناس داخل الأسوار بسبب الخلاف فى الرأى أو معارضة الفساد أو هيمنة البوليس على البلاد والعباد باسم الطوارئ أو مكافحة الإرهاب أو ... أو ...

فقه الحكومة يتطوع ببذر التطرف والتشدد حين يلغى فقه المذاهب الأربعة (المالكي والحنفى والشافعي والحنبلى) من أجل غاية تافهة جداً وهى الحصول على مكافأة تأليف كتاب عن الفقه الميسر ، فلا يعرف الطالب الأزهرى أن هناك آراء أخرى ، وأحكاماً مخالفة فى قضايا التشريع .

إلغاء فقه المذاهب ، يقود عمليا بعد إلغاء وتقليص عدد من مناهج اللغة العربية فى المعاهد الأزهرية ، إلى توحيد التعليم الأزهري مع التعليم العام ، وإلغاء الإسلام تماماً من الدروس داخل الأزهر المعمور ، ليبحث الناس بعدئذ عن مفت يجيب عن أسئلتهم فى حارات إمبابة أو عشوائيات ساقية مكى !!

فقه الحكومة يتماهى مع الاستبداد حيث كان ؛ لأنه ليس استبداداً محلياً ، ولكنه استبداد مستورد ماركة " الاستعمار الغربى المتوحش " ، وهذه الماركة أو العلامة تفرض على السادة المستبدين أن يكون لهم فقههم المخالف للفقه الذى عرفه الناس منذ أربعة عشر قرنا .

مثلاً ، فإن تونس الخضراء ، مذ كانت تحت الهيمنة الفرنسية الاستعمارية المتوحشة ، كانت عطلتها الأسبوعية يوم الأحد ، وبعد الاستقلال الصورى ظلت الإجازة يوم الأحد ، وكان الناس وأغلبيتهم الساحقة مسلمون ، يعملون يوم الجمعة ويصلونها فى أثناء العمل ولكنهم قبل فترة فوجئوا بفقه الحكومة يلغى صلاة الجمعة فى موعدها ، ويجد فتوى تجيز صلاة الجمعة مع صلاة العصر ؟

المعلوم في الفقه أن جمع الصلوات لا يجوز إلا لضرورة ، مثل السفر الطويل ، والقتال ضد الأعداء ، وفى أثناء الحج (يوم عرفة) .. ولا توجد ضرورة سياسية ضمن الضرورات التى عرفها الفقهاء الأصليون .

فقه الحكومة ، لأنه يحبذ الاستبداد المستورد ، فهو يضحى بكل شئ إرضاء للسادة الموّردين ولو كانت تغييرا للإسلام نفسه باسم تغيير الخطاب الدينى الإسلامي وحده ، والانشغال بسفاسف الأمور وهوامشها لإشغال الناس عن الواقع الكريه الذى يحيونه ، ويسرى فى دمائهم وعروقهم على مدار الساعة .

ومن التجليات المضحكة المبكية أن تونس الخضراء اخترعت ذات يوم اختراعاً عجيباً فريداً فى نوعه ، يتمثل فى استخراج بطاقة ممغنطة يستخدمها المصلون فى المساجد التى تخصص لهم حسب أماكن الإقامة ، ويقوم المصلى باستخدام بطاقته إذا أراد أن يصلى فى المسجد المحدد له، فإذا أراد أن يصلى في مسجد غير المسجد المخصص له ، فإن باب المسجد لا ينفتح أبداً ! وكان تسويغ السلطة لهذا الاختراع العجيب آنئذ هو " محاربة الإرهاب

" والقضاء على التطرف " .. وحين وجدت السلطة البوليسية الفاشية أن الأمر لقى استنكاراً على مستوى الأمة الإسلامية ، تراجعت ، وقامت بنفى الأمر تماماً ..

بيد أن " فقه الحكومة " لاتعنيه أسباب الإرهاب أو التطرف الحقيقية ، ولا يناقشها ولا يتحدث عنها ، ولا يقول للمستبدين إنكم سرقتم الحرية واعتقلتم الإسلام وسجنتم الكرامة وأهدرتهم كل مبادئ حقوق الإنسان .. وفقد الناس العدل ، وشاع بينهم الظلم والقهر ، فصار بعضهم أقوى من القنابل الموقوتة ، ضد نفسه وضد المجتمع كله ..

وإذا كانت " صلاة الجمعة " قد هانت على المستبدين بحكم خضوعهم للمورّدين المتوحشين ، فإن الخوف الأعظم يأتى من جانب ضحايا " فقه الحكومة " ، فهؤلاء فى كل الأحوال لا يعرفون شيئا اسمه العقل أو المنطق ، لأن ما يعيشونه من فقدان للحرية والعدل والكرامة ، يدفعهم إلى ارتكاب كل ما يخطر أو لا يخطر على البال .. وهو أمر لو تعلمون نتائجه عظيم ! فهل هناك من أمل فى إلغاء " فقه الحكومة " ، وإحلال فقه العلماء مكانه ؟

***

شيخ الإسلام جورج بوش!

صار فضيلة الإمام الأكبر جورج بوش ، صاحب الكلمة العليا في شئون المسلمين حيث يصنفهم حسب هواه الصليبي إلى طيبين وأشرار ، أو حسب لفظه إلى معتدلين وإرهابيين ، والأولون لهم كل المودة والمحبة ، لأنهم مطيعون ، ويسمعون كلام العام سام ، وينفذونه بحذافيره ، ولا يرددون مايسمى في الإسلام بالجهاد والعزة والكرامة والعدل والحرية ، وكلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين كفروا هي السفلى .. أما الآخرون فهم الذين يستحقون الموت ، ويجب شن الحرب عليهم بلا هوادة ، لأنهم غير مطيعين ، ويبحثون عن شيء اسمه الاستقلال والسيادة ، ولا يفرطون في حقوقهم ، ويطالبون بالقدس وفلسطين وعودة اللاجئين ، ويحرصون أن تكون ثروات العرب للعرب ، وليس للكارتلات الاستعمارية المتوحشة ..

كان فضيلة الشيخ بوش يخطب على منبر المحاربين القدماء في نيفادا الأسبوع الماضي (أول سبتمبر ٢٠٠٧م) ، وكان يقول بكل فخر وشجاعة إنه يقتل نحو ١٥٠٠ إرهابي في العراق كل شهر ! ، وصدرت الإحصائيات بعد خطابه لتقول إن عدد الإرهابيين ازداد في

شهر أغسطس ٢٠٠٧م بنسبة ٧%عن شهر يولية السابق عليه ، حيث وصل العدد الشهري إلى ١٦٧٠ قتيلا إرهابيا وفقا لمفهوم فضيلته للإرهاب !

ترى لو أن بلدا فيه كل هؤلاء الإرهابيين الذين يقتل منهم بوش وعصاباته الغازية المتوحشة مثل هذا العدد، بما ذا نسميه ؟ بلا شك هو بلد إرهابي بامتياز ، ولكن فضيلة الشيخ بوش يخبرنا دائما أن العراق صار بلدا ديمقراطيا ، وسيكون واحة الديمقراطية فيما يسميه الشرق الأوسط، فكيف نوفق بين رؤيته للعراق الإرهابي والعراق الديمقراطي ، لابد أن الرجل يعاني خللا فكريا وعقليا ، ويحاول أن يقنعنا برؤيته الإجرامية الوحشية التي تسمح له بقتل الشعب العراقى البائس ، ويسمى القتلى بالإرهابيين .. من قال إن الفلاحين البسطاء في الفلوجة والأنبار وديالى ، صارو ا إرهابيين وهم يبحثون عن لقمة العيش بطلوع الروح .. لقد كانوا آمنين مطمئنين قبل ان يهل عليهم فضيلة الشيخ جورج بوش بطلعته الوحشية الشائهة ، وكانوا راضين بقدرهم وحظهم في ظل الديكتاتور الذي أعدمه بوش يوم عيد الأضحي المبارك ليكون عبرةٍ لغيره من حكام العرب والمسلمين حين يخرجون على النص الأميركي الصليبي الذي رسمه لهم البنتاجون والبيت الأبيض والمخابرات المركزية الصليبية والموساد النازى اليهودي !

فضيلة الشيخ جورج بوش يرى ان الله بعثه ليطهر المسلمين من الإسلام ، وتثبيت القاعدة الصليبية العسكرية التي تسمى الكيان الصيوني في أرض فلسطين المحتلة لتأديبهم إذا رفعوا رءوسهم ، أو شعروا بآدميتهم أو إنسانيتهم ، والرجل مذ فبرك مع أجهزته أحداث الحادي عشر من سبتمبر ، فقد انطلق بكل قوته صوب الشرق الإسلامي مترسما خطا بطرس الحافي عام١٠٩٥م ، لتحرير بيت المقدس تحت شعار"إنها إرادة الله " ، لقد تحرك بوش نحو أفغانستان ليدمر شعبها ، ويهدم بيوتها ومساجدها ومستشفياتها المتواضعة ، بحجة محاربة القاعدة (الموهومة !)، وطالبان التي تحميها ، وصب على الشعب المسلم البائس المسكين أحدث ما أنتجته آلته العسكرية من قذائف حارقة خارقة لا تبقى ولا تذر ، وسوى أفغانستان المسلمة بالأرض ، ثم خرج علينا أتباعه بأنهم نقلوا أفغانستان من العصور الوسطى إلى القرن الحادى والعشرين ، بعد أن قاموا بتعرية بعض نساء أفغانستان ، وإسقاط الشادور عن وجوههن تحت دعوى تحرير المرأة الأفغانية التي تعيش تحت القيود والقهر .. وتحريرها هو تحرير أفغانستان ، بينما المرأة الأفغانية لا تجد ما تطعم به أولادها .. ثم نصبوا حاكما على كابول من لدنهم اسمه كرزاى ، ليمثل الديمقراطية الأميركية التى تتباهى بها الأمم ! وإذا بالعالم كله يفاجأ بعد خمس سنوات من القتل الذى يمارسه التحالف الصليبي ضد الشعب البائس المسكين بأن التحالف الصليبي قد غرق في مستنقع اسمه المقاومة الأفغانية التي تواصل مع ضعف امكاناتها وقدراتها إنزال المزيد من الخسائر بالجيش

الأميركي الذى لايقهر ، ومعه التحالف الصليبي المتوحش لحلف الناتو ، وتضطر بعض الدول المتحالفة إلى سحب قواتها تحت تأثير الخسائر أو ضربات المقاومة الأفغانية المسلمة التي لم تهرب من الميدان ، وتضحى بجسدها وروحها في مشاهد نبيلة غير مسبوقة ،وهي المشاهد التي لم تعجب بعض الشيوعيين المصريين السابقين ، الذين تأمركوا ، فراحوا يكتبون عن جهل طالبان وغباء طالبان وتخلف طالبان ، دون أن يشيروا بكلمة واحدة إلى إجرام سادتهم الأميركان ، وحلفائهم الصليبيين ! وهذه الكتابة في حقيقة الأمر دفاع غير مباشر عن الأميركان ، وخيانة للإسلام وأوطان المسلمين ، نظير فتات رخيص لايتكافأ مع الدفاع المتهافت! واللافت بعد كل ذلك أن أميركا لم تقض على القاعدة ، ولم تقتل أحدا من زعمائها .. هل يستطيع أحد أن يفسر لنا ذلك ؟

والأمر ذاته قام به فضيلة الشيخ جورج بوش أوالكذاب الأكبر ، حين ادعى أن العراق لديه أسلحة نووية ، وضرب عرض الحائط بماقاله المراقبون الدوليون ، وتحدي العالم ، وجاء بآلاف الجنود ، وآلاف المرتزقة ، ليكرر تجربة أفغانتستان في العراق ، فدمرأرض الرافدين ، وهدم مدينةالرشيد ، ونهب تراثها وثروتها وبترولها ، ثم أشعل نار الفتنة الطائفية ، واستخدم المرتزقة لقتل الأبرياء ، وهدم المساجد والمزارات ، وصدق – كما أوهمه العملاء – أن الشعب العراقى سيستقبله بالورود ، ولكن المفاجأة أن الفلوجة استقبلته بالمقاومة ، وكذلك فعلت البصرة ، ولم يستطع مع عملائه أن يجاوز المنطقة الخضراء التي يخاطب من خلالها العالم ، ويصدر أوامره لقوات القتل الصليبية المتوحشة بقتل الآلاف من الشعب البائس المسكين ، ويحاول إقناع العالم بأنه يحارب الإرهاب ، الذى تقوده القاعدة .. ويالها من قاعدة تلك التى تنتشر انتشار النار في الهشيم فتملأ العراق كله من شماله إلى جنوبه دون أن يستطيع استئصالها أو القضاء عليها ، ونسى فضيلة الشيخ جورج بوش أنه يضحك على نفسه قبل أن يضحك على العالم ، لأن الناس في كل مكان يعلمون أن الشعب العراقي كله باستثناء العملاء هو الذي يحارب الغزاة الهمج ، ويقاتلهم بضراوة غير مسبوقة وينزل بهم الخسائر كل يوم ، لدرجة أن الحليف الأكبر لفضيلة الشيخ جورج بوش – أعني بريطانيا العظمى – تقرر الهروب من البصرة والقصر الرئاسي ، تمهيدا للهروب الكبير من العراق ، وهي أكبر لطمة تلقاها السفاح بوش من أقرب حلفائه ، ولم يكن يتوقعها حيث إنه كان قد فرض له نصيبا ثمينا في كعكة البترول العراقى ، ولكن جاءت الأحداث بما لايشتهي السفن ، وجاء الهروب البريطاني ليلحق بالهروب الإسباني وغيره ، وليؤكد ان المقاومة العراقية النبيلة سترغمه ، على الهروب هو الآخر مهما أبدي من ممانعة ، ورفض للمطالبات الداخلية في مجلسي الكونجرس بضرورة الانسحاب ، بعد أن عرف العالم أن الأهداف الأميركية في العراق لم يتحقق منها بعد أربع سنوات غير ثلاثة أهداف من ثمانية عشر هدفا !

ولا شك أن الاستعانة بالعملاء مهما حققت من مكاسب في أول الأمر ، فإنها في النهاية خسارة كبرى ، لأن العميل جبان ، ولا يصمد إذا رأى المقاومة الحقيقية تحاصره ، وتكشفه ، وتفضحه أمام العالمين ، وهو ما جرى لحكومة العملاء التي تحكم العراق ، واعترفت مؤخرا أن آلاف الطائفيين الخونة انضموا إلى قوات الأمن ، وعاثوا في الأرض فسادا ، وقتلوا وعذبوا الآلاف من الأبرياء المساكين ..

إن جورج بوش اراد أن يغيرمناهج التعليم الإسلامى تحت مسمى تغيير الخطاب الديني ، وأرغم دولا إسلامية على حل جمعيات خيرية وإسلامية آخرها ما فعله المدعو " فياض " في الضفة والقطاع بحل أكثر من مائة جمعية خيرية تساعد اليتامي والمحتاجين ، وأرغم دولا عربية على مراقبة الأئمة والخطباء ، ، وأرغم دولا عربية على نزع الإسلام من الثقافة والإعلام وإقصاء الإسلاميين من الأنشطة الفكرية والإعلامية والتعليمية فضلا عن الأنشطة السياسية .. ورأى أن ذلك هو الإسلام المعتدل ، وأصدر فتاواه التى استجابت لها بعض الدول العربية والإسلامية ، ولكنه لم يدر أن الشعوب الإسلامية تقاوم، وتدرك أن فتاوى الشيخ بوش باطلة ، وحرام ، وغير إسلامية ، لأنها صليبية لا تمت إلى المسيح أو المسيحية بصلة ، بل تمت إلى التوحش والهمجية واللصوصية و، وهى سنّة الصليبيين الاستعماريين غير الحميدة في كل زمان ومكان ، ولا غالب إلا الله.

***

الدور على من ؟!

آثرت الوحشية الأميركية أن تأخذنا من همومنا الداخلية ، وما تدبره السلطة البوليسية الفاشية لاستئصال الحرية والعدل والإسلام في بلادنا ، لتقدم نوعا جديدا من الأضاحي في يوم النحر أو عيد الأضحى المبارك ، وبدلا من تقديم خروف أوعجل أو جمل . فإذا بالوحشية الاستعمارية تقدم " رئيسا عربيا" كان يحكم دولة عربية عاصمتها اسمها بغداد " بلد الرشيد " الذي كان يحكم أقوى امبراطورية في العالم في زمنه ، هي الإمبراطورية الإسلامية ، وهو – أي الرشيد – الذي علم الصليبيين الهمج القادمين من أوربة كيف يستحمون في الحمامات ، ويومها كان إمبراطور الرومان " شارلمان " في زمن الرشيد لا يعرف القراءة ، وبهرته الساعة المائية التى أهداها إليه الرشيد ، وكان "المعتصم " شقيق الرشيد هو الذى لبى نداء امرأة مسلمة في " عمورية " استغاثت به ، بعد أن تحرش بها " رومى " كشف سوأتها ، فقالت : وا معتصماه .. ورد عليها : لبيك يا أختاه ! وسير جيشا أحال ليل عمورية إلى نهار ، كما يروى جدنا الشاعر الأشهر أبو تمام :

غادرت فيها بهيم الليل وهو ضحى .. "

الوحشية الاستعمارية الأميركية – باستخدام العملاء الخونة – ذبحت " صدام حسين التكريتى " يوم العيد الأكبر ، هدية لأمة المليار مسلم مخصوما منهم قلة خائنة ممن يدّعون التشيع لآل

البيت ، والبيت وصاحبه عليه الصلاة والسلام منهم براء ، فقد كان الحسين وآل الحسين أصحاب أخلاق تترفّع عن الانتقام والشماتة ، والولاء لأعداء الله والإسلام والمسلمين ...

ويروى أن على بن أبى طالب – رضى الله عنه – رفض أن يقتلوا قاتله الخارجى " عبد الرحمن بن ملجم " وعفا عنه.. ولكن الخونة الذين جاءوا على ظهر الدبابات الأميركية غلبتهم الطبيعة العدوانية الخسيسة ، فامتثلوا لأوامر سادتهم الصليبيين، وقتلوا صداما في توقيت له دلالة واحدة ، هى إذلال المسلمين والتنكيل بهم ، وإفهامهم في يوم عيدهم الأكبر أن من يرفض الامتثال للعدو الصليبي الوحشى ، سيكون مصيره مصير صدام بأيدى العملاء والخدام !

ويعلم القارئ أو لا يعلم، أنني – بفضل الله – كنت من أوائل – بل كنت أول من هاجم صداما في عز سطوته وجبروته ، ورفضت دعوته لحضور " المربد " الذي كان يتهافت على حضوره الكبار قبل الصغار من كتاب المحروسة ، وتنبأت بغزوه للكويت ، بعد أن أدنت غزوه لإيران ، لأني كنت أعلم أنه لعبة في يد الأميركان وخاصة صديقه السابق رامسفيلد الذي صار وزيرا للدفاع وغزا بلاده وحطم كبرياءه وشعبه وأمته، كما امتنعت عن مقابلة وزير الأوقاف العراقى الذي تصور أنه يمكن أن يشتريني !ثم أصدرت عن جرائم صدام كتابين معروفين ..

فعلت هذا في الوقت الذي كانت فيه أجهزة الإعلام العربية تشيد بحارس البوابة الشرقية ،وتتفاعل مع هداياه (وصل بعضها إلى المرسيدس ، وأرغم الرئيس مبارك من قبلوها على التنازل عنها إلى مؤسساتهم الصحفية كي لا تكون فضيحة عالمية بامتياز).

ولكن العدوان الاستعماري الصليبي الوحشي الذي قادته أميركا والغرب ، ضد العراق الشقيق ، واستخدامه للعملاء الذين جاء بهم على ظهور دباباته ليمزق العراق طائفيا وعرقيا ويسرق ثرواته البترولية وتراثه الحضارى، ويخصم قوة عربية كان يمكن أن تهدد الكيان النازى اليهودي الغاصب في فلسطين المحتلة . يجعل من إعدام صدام ، بعد إعدام قرابة سبعمائة ألف عراقى – وفقا للمصادر الأوربية والأميركية – منذ عام الاحتلال ٢٠٠٣م حتى الآن ،أمرا ذا دلالة لاتخفى إلا على كل بائس قصير النظر.

لماذا إعدام صدام – وهو أسير حرب وفقا لقوانينهم الدولية التى صاغوها بأنفسهم – بأيدي خدم يسمعون للأميركان ويطيعون ، ويستقوون بهم لتحقيق مكاسب مذهبية رخيصة ؛ متناسين أن الخسائر ستصيب الجميع وتلحق بهم ؟ هل كان صدام يملك أسرارا من أيام شهر العسل مع الأميركان وخافوا أن يفضحهم ويشوه صورتهم فعجلوا بذبحه في يوم العيد ؟

كنا نريد محاسبة صدام بأيدي العراقيين الذين لا يعملون خدما في بلاط السيد الصليبي أو السيد الصهيوني ، أما محاسبته بأيدي الخدم وبإملاء السادة فهو الإذلال بعينه للأمة كلها

شعوبا وحكومات ، وإنذار عملى لكل من يرفض الخضوع للإرادة الاستعمارية الوحشية وتسليم ثرواته وتراثه ، والقبول بالكيان النازي اليهودي الغاصب . ولا ندرى من الذي سيكون عليه الدور في التضحية والذبح العام القادم ، وربما قبل أن ينتهى العام الحالى !!

إن العصابة المجرمة التي تحكم العراق بأوامر سادتهم الصليبيين المتوحشين ، وصنعت فرق الموت لقهر أهل السنة وترويعهم ، وممارسة التطهير العرقي في مناطقهم ، لن يكونوا في مأمن على المدى الطويل ، ولن تحميهم أميركا إلى الأبد . فالشعب العراقي الذي قاوم الإنجليز في ثورة العشرين متحدا موحدا لن يصعب عليه أن يعيد الكرة من جديد ، ويلقن الأميركان درسا يشابه الدرس الذي لقنه للإنجليز ، وإذا كان العملاء الخونة من عينة الحكيم والجعفري والمالكى والجلبي وعلاوي يتصورون أن كلمتهم ستظل نافذة في العراق البائس التعيس؛فإن مصيرهم لن يكون أفضل من مصير صدام ورفاقه .

لقد كان الظن أن هؤلاء الذين عادوا إلى العراق على ظهور الدبابات سيقيمون عراقا حرا ديمقراطيا كما زعم أسيادهم ،ولكنهم عادوا بمفاهيم العدوان والانتقام واللصوصية والتعصب ، فريق يعمل مع الشيطان الأكبر لتكوين دولة شيعية في الجنوب ، وفريق يعمل مع الشيطان الأصغر ليقيم دولة كردية في الشمال ، مع التشجيع على إقامة كانتونات أخرى عرقية وطائفية ومذهبية .. ومع صناعة الموت التي أشاعوها في أرجاء العراق ،انهارت البلاد ، وهاجر الملايين مرة أخرى من العراق ليهربوا بجلودهم ، وراحت ميليشيات القتل من أمثال منظمة بدر وجيش المهدي وفرق الموت الحكومية تصول وتجول في مناطق أهل السنة وتمارس هوايتها الدموية بقتلهم على الهوية .. بينما يقوم الخدم بسرقة ثروات البلاد وتهريبها إلى الخارج !

إن المالكى الذي صرح قبل شهور من صدور الحكم على صدام بأنه سيعدم قبل نهاية العام ؛ كان يعبر عن إرادة أسياده الصليبيين ، وعن فلسفة عصابة إجرامية جاءت لتنتقم من شعب بأكمله ، وليس من صدام وحده . فهم لا يعرفون شيئا اسمه القانون أو العدالة أو الحرية ، ولكنهم يعرفون شيئا واحدا اسمه : النهب ومرادفه الانتقام !

لقد عبر عامة الشعب العربي من المحيط إلى الخليج عن غضب عارم على ذبح صدام يوم عيد الأضحى قبل أن يقوم الناس بذبح الأضاحى .. بينما انطلقت القلة الخائنة تطلق الرصاص ابتهاجا وشماتة وخسة ونذالة في مصرع رجل كانوا ينحنون أمامه ويلقبونه بالسيد الرئيس !

ومهما يكن من شىء ، فإن الأمة تدرك مع مطلع كل صباح أن عدوها الحقيقي هو الشيطان الأكبر الذي يجند الخدم هنا وهناك ، ليسرق ثروات الأمة ويتحكم في مقدراتها ومصائرها .. وهذا الإدراك سيقودها بالتأكيد إلى المقاومة والجهاد ، فالموت في ميدان الشرف ضد العدو

الحقيقي أفضل كثيرا من الموت المجاني على أيدي الخدم وفرق الموت ،ومن يدعون الانتساب إلى الحسين وآل الحسين .

***حاشية : إلى وزير الدعاية والتلفزيون في مصر : هل من اللآئق و قنوات العالم تعرض جثة رئيس عربي على شاشاتها ، ألا تعبأ أجهزة الدعاية المصرية وفى مقدمتها التلفزيون بماحدث ، وتعيش العيد المزيف بالأغاني والطبل والزمر ؟ ألا تعلم يا معالى الوزير أن مراعاة حرمة الموت من أوجب الواجبات في تقاليدنا الاجتماعية مهما كان رأينا في الميت ؟ طبعا لن أتوقع إجابة من معاليك ، ولكن كان لابد من توجيه السؤال !**

***

الحرب على الإخوان المسلمين

هل يمكن أن ينتصر النظام البوليسى الفاشى فى حربه الإرهابية ضد الإخوان المسلمين ؟ وقائع التاريخ على مدى سبعين عاماً ، تنفى فكرة الانتصار ، وتؤكد أن جبروت السلطة البوليسية ، لم يستطع أن يكسر شوكة الإخوان أو يحطم نفوذهم أو يقلل من تأثيرهم ، مع الفارق في القوة بين الطرفين . طرف يملك وسائل القهر والإرهاب وصياغة القانون على هواه ، وطرف لا يملك غير إيمانه وعقيدته وإصراره على منهجه ..

وتسأل ما سرّ هذه الحروب الضروس التى يشنها النظام البوليسى الفاشى ضد الإخوان بلا هوادة ولا رحمة : الاعتقال ، والمحاكمات ، والملاحقات ، والحصار فى الوظائف العامة ، والمجالات الاقتصادية والإعلامية والدعوية ، حتى أصحاب المكتبات الخاصة من الإخوان المسلمين ، قامت السلطة البوليسية الفاشية مؤخرا بإغلاقها ، وتحريض شرطة المصنفات الفنية على القيام بمطاردة هذه المكتبات واعتقال أصحابها ومصادرة محتوياتها ..

من يكون الإخوان المسلمون الذين تحاربهم السلطة بهذه الضراوة ، وهذا الفجور الذى يصنع مفارقة تظهر للعيان ، مدى تهاون السلطة ورقتها بل وتعاطفها مع القتلة واللصوص والفاسدين ، وشدتها وصرامتها وقسوتها مع الإخوان المسلمين ؟

كيف تحيل صاحب العبارة السلام ٩٨ الذى قتل أكثر من الف مصرى بأعصاب باردة دللت عليها لجان وتقارير تقصّى الحقائق الحكومية والموالية للنظام نفسه ، مجرد قاتل عن طريق الخطأ وتحوله إلى محكمة جنح سفاجا .. أى تجعل جريمته مجرد جنحة بسيطة ، سيخرج

منها بريئاً كما هو متوقع ، ولم تقبض عليه حتى الآن ، بعد أن ودّعته وأمواله الحرام في مطار القاهرة بالسلامة والتحيات والإكرام ، وفى الوقت ذاته تقدم رموز الإخوان وفى مقدمتهم عصام العريان الذى لم يقتل ولم يسرق ولم ينهب البنوك ولم يهدر أموال الدولة ؛ إلى المحاكمة وتُجدد له كل خمسة عشر يوماً ، لأنه تظاهر تأييداً للقضاة الذين سحلهم النظام وضربهم بالحذاء أمام ناديهم !!

كيف نفسر هذه المفارقة التى تؤكد على العطف والحنان والرقة مع القتلة واللصوص الكبار والفاسدين ، والشّدة والقسوة والصرامة مع الدعاة إلى الحق والطهارة وكرامة الإنسان ؟

ماذا يعنى مثلاً أن تقوم السلطة باعتقال رجل يبلغ الثمانين من العمر اسمه ((لاشين أبوشنب)) لم يسرق ولم يقتل ولم يرتكب منكراً من القول أو الفعل ، وتطلق كلاب الحراسة فى صحافتها للتشهير به ، والنيل منه وهو المقعد الذى لا حول له ولا طول ؟

ماذا يعنى أن يتحدث عنه صبيان لاظوغلى فى الصحافة المصرية ، ويصفونه بأنه اعترف " إرادياً " و " طواعيةً " بأسماء أعضاء مكتب الإرشاد أو مجلس شورى الجماعة ؟

هل يعنى ذلك أن هنالك اعترافات غير " إرادية " و " غير طوعية " ؟ وكيف تكون تلك الاعترافات ؟ هل يفسر لنا صبيان لاظوغلى الفارق بين الاعترافات الإرادية والطوعية ، ونقيضها ؟

بدلا من أن يقارن صبيان لاظوغلى الصحفيين بين رجل يصر على مبادئه وعقيدته حتي تجاوز الثمانين ، وتحمل كثيرا من سنوات السجن والعناء والمرض ، وبين من ينافقون ويصفقون وتفتح لهم أبواب النهب والثراء الحرام واحتكار الإنتاج للسلع الاستراتيجية وتصديرها لأعداء الإسلام والمسلمين ؛ يصورونه في صورة المجرم الذي أمسكت السلطة بتلابيبه! تبّا لكم ياخدم!!

لقد دفعت الحرب التى تشنها السلطة ضد الإخوان ضعاف النفوس من المنافقين والأفاقين والوصوليين إلى التطوع مجاناً بمهاجمة الإخوان فى كل شاردة وواردة ، لأنهم عرفوا أن مهاجمة الإخوان تعنى البوابة الملكية للعبور إلى تحقيق الآمال والغايات فى المجالات الصحفية والوظيفية والحكومية وصارت هذه البوابة ايضاً أسهل المعابر للفاشلين لتحقيق النجاح !

بيد أن الحرب المستمرة ضد الإخوان منذ سبعين عاماً لم تقض على الإخوان ولم تستطع أن تستأصلهم ، فالإخوان يدخلون السجون والمعتقلات ويخرجون أكثر تصميماً على أفكارهم ومعتقداتهم ، بل إنهم يؤثرون فى السجناء الآخرين ويجذبونهم إلى دعوتهم .. ثم إنهم يقدمون نماذج متفردة ومتميزة فى تحمل التعذيب والتنكيل ، فضلاً عن الإصرار على مواصلة

الطريق الذى بدءوه ...
وقد كان الظن مثلاً ، وهم يتعرضون لحملة الإبادة التى شنها النظام العسكرى لجمال عبدالناصر أن القضاء عليهم قد صار حقيقة واقعة ، ولكن أشلاءهم التى بقيت بعد عار ١٩٦٧م ، نبتت من جديد ، وتجذرت ، وتفرعت ، وأنبتت ، وتمددت فى كافة الأرجاء والاتجاهات ، وفرضت أمراً واقعاً أرغم الجميع على التعامل معه !
لم تجد حملات الاعتقال والاستئصال . لم تفلح محاولات المطاردة والحصار ، لم تنجح أساليب الإقصاء فى الصحافة والتعليم والقضاء والتجارة والسياسة ؛ وظل الإخوان يواصلون الدعوة والعمل والمشاركة فى الانتخابات ، وقد حققوا تحت سمع العالم وبصره نجاحاً غير مسبوق فى انتخابات مجلس الشعب الأخيرة وحصدوا ٨٨ مقعداً ، كانت مرشحة للزيادة إلى ١٣٠ لولا التزوير السافر وضرب القضاة ومنع الناخبين من الوصول إلى اللجان !
يتساءل الناس فى بلادى : هل الإخوان أشد خطراً على مصر والبلاد العربية من اليهود الغزاة الذين أذلونا واعتدوا علينا ودفنوا أسرانا أحياء ، وقتلوا الكثير منا على مدى ستين عاماً ، وتركوا فى كل بيت مصرى وعربى شهيداً واحداً على الأقل ، ناهيك عن الجرحى والمصابين وضحايا المجازر الصهيونية فى فلسطين وبحر البقر وحلوان وقانا وحمام الشط وبيروت وصبرا وشاتيلا ودير ياسين وجنين وغيرها ؟
هل الإخوان اشد خطراً من اليهود الغزاة حتى ترفض السلطة البوليسية الغاشمة التصالح معهم ، واللقاء فى منتصف الطريق ؟
ماذا لو أعلن الإخوان رضاهم عن أميركا والغرب واليهود ؟ ماذا لو قبل الإخوان بالاحتلال الصهيونى لفلسطين وتخلوا عن المطالبة بالقدس العتيقة مسرى الرسول صلى الله عليه وسلم ومعراجه إلى السماء ؟ هل ستظل الحكومة المصرية فى حالة حرب مع الإخوان ؟ هل ستظل تواصل حملاتها البوليسية والتحريضية ضدهم ؟
إن الغازى اليهودى الغادر يدخل مصر الآن معززاً مكرماً ، يسوح فى أرضها ويستثمر أفكاره وينشر رؤاه ، ويجد من العون والمساعدة مالا يخفى على أحد ، فلماذا يخصه النظام بهذه الامتيازات ، ويحرم الإخوان منها مع أنهم لا يغدرون بوطنهم ولا يؤذونه ؟
كيف يتم السلام مع اليهود الغزاة ولا يتم السلام مع الإخوان ؟ بل لماذا لا يتم السلام مع المواطنين المصريين جميعاً ، على اختلاف آرائهم وتعدد مشاربهم على أساس التوافق العام الذى يحميه القانون ؟
ألا تكفينا سبعون سنة من الصراع بين السلطة والإخوان حتى تضع الحرب أوزارها ، وننصرف

إلى أعدائنا الحقيقيين ، وتتلاقى جهودنا لبناء الوطن ؟
أسئلة لا تصغى إليها السلطة الفاشية أبداً !!

***

قضية التماثيل.. ووطن الأماثيل!

كتب مكرم محمد أحمد في الأهرام يوم الثلاثاء ٤- ٤- ٢٠٠٦م ؛ مقالا حول موقف مدير الجامعة الأميركية بالقاهرة ، من مواد الثقافة العربية التي قرر المدير إلغاءها من مقررات الدراسة بالجامعة ، وهي المواد المتفق عليها في " بروتوكول " بين الحكومتين المصرية والأميركية . ولم يستجب المدير لمناشدات الأساتذة والطلاب بالإبقاء على مواد الثقافة العربية مع هامشيتها وبساطتها ، وتخلى عن منهج الجامعة الذي يقوم على الحوار والتفاهم ..

واضح أن السيد مدير الجامعة الأميركية يتحرك وفقا لسياسة بلاده الصليبية الاستعمارية التي أعلنت الحرب على الإسلام (وليس الإرهاب لأنها أول من صنعه ورباه وغذاه) ، وراحت بالصلافة والعجرفة تأمر الحكومات العربية والإسلامية بإلغاء الإسلام من إعلامها وتعليمها ، وثقافتها وفكرها ، تحت مسمى تغيير الخطاب الديني .. ولم تعبأ أميركا الصليبية الاستعمارية – وهى التي لا تتمسك بقيم المسيحية ولا تعاليم المسيح – بأية قواعد قانونية أو مواثيق دولية في حق الدول المختلفة في المحافظة على ثقافتها وهويتها ، ومن ثم جاء قرار مدير الجامعة الأميركية ، صادما للأمة بوقاحته واستفزازه وعنصريته..

هذا الحدث الجلل الذي يعبر عن هوان الأمة على نفسها ، لم يستوقف كتاب المار ينز في بلادنا ، ولكنهم هاجوا وماجوا لأن فضيلة المفتي أصدر فتوى تحرم التماثيل ، وتطوّح بعضهم في حلقة الذكر " الاستعماري" تعبيرا عن كراهيته للإسلام وثقافته، وراح يصف المفتي بممالأة

السلفية ، والانتماء إلى طالبان ، ووصل الأمر بواحدة من إياهن إلى المطالبة أن يغلق شيخ الأزهر والمفتي فمهما ، ولا يتكلمان بل لا ينطقان بأية فتوى طالما هناك قانون ودستور يحكمان البلاد !

كتاب المار ينز موتورون من الإسلام وثقافته ، يتعاملون مع شرائع الأرض والسماء بود وتسامح ما عدا الإسلام . يعلموننا ليل ونهار أن الغرب ليس واحدا ، وأن اليهود الغزاة ليسوا واحدا ، ولكنهم يضعون الإسلاميين جميعا في تصنيف واحد، يطلقون عليه كل ما يحمله القاموس اللغوي من معان سلبية وشريرة ورديئة وبذيئة .

قبل فترة رفض الأنبا شنودة تزويج المطلقات والمطلقين من النصارى الذين تحكم المحاكم بانفصالهم ، لأن ذلك في رأيه مخالف للإنجيل ، ولم ينبس واحد من كتاب المار ينز ببنت شفة ، ولا أظنه يستطيع .. لسبب واحد ، وهو أن غير المسلمين يحمون شرائعهم ،ويستطيعون الرد المؤلم والموجع على من يتعرض لها . أما الإسلام فهو الحائط الواطئ الذي يقفز عليه كل سفيه وعميل وبائس دون أن يخسر شيئا ،أو يتأثر بشيء !

وكنا نتصور أن كتاب المار ينز – ومعظمهم من اليسار المتأمرك ومرتزقة النظام – يمكن أن يكون لديهم حد أدنى من الخجل والحياء ، فيوجهون أقلامهم إلى معالجة القضايا الحيوية التي يضج الناس منها على المستويات المختلفة كافة .. ولكنهم للأسف لا يستطيعون مواجهتها مواجهة جادة ومخلصة وصادقة . فهم يعملون لحساب من صنعوا مشكلات الوطن ومن فاقموا من أزمته ومتاعبه وآلامه.. والعبد لا يستطيع أن يرفع رأسه في وجه سيده.

لقد أصبحنا أمثولة بين أمم العالم في التخلف والعجز وقبول الذل والاستسلام لما يفعله الآخرون بنا ، وصرنا نخرج من مأزق إلى آخر ، ومن محنة إلى أخري ، وانظروا ما ذا جرى لنا على مدى شهرين فقط: موت ألف مصري في عبارة الرجل المحصّن– كارثة الطيور التي أذهبت الثروة الداجنة وأوقفت حال الناس وحرمت الفقراء من طعم اللحوم – اشتداد الغلاء وكان السكر في مقدمة السلع والتليفونات في مقدمة الخدمات ، ولن يكون الوقود الذي أعلنوا عن قرب رفع أسعاره آخر السلع ، لأنه سيشعل الأسعار تلقائيا – امتداد طابور البطالة – تبديد أموال الدولة في المظهريات وإنفاق المليارات فيما لا يفيد وفقا للجهاز المركزي للمحاسبات ...

القوم لم يتوقف سعارهم المحموم في حملتهم على فتوى المفتي بسبب التماثيل ، ولكنهم تجاهلوا ما يعانيه المصريون من قهر واستبداد ونظام فاسد ينتفش فيه الفاسدون والمنافقون ويستأسدون ..

إننا نتساءل : هل يأخذ كتاب المار ينز بكل الفتاوى في الأمور الإسلامية أساسا ؟ إن بعضهم

لا يفيق من الخمر ، وبعضهم لم يركع ركعة واحدة .. وبعضهم لا يقبل أن يعطي فقيرا قرشا واحدا بدعوى أن الدولة مسئولة عنه، وبعضهم لا يهتز ضميره وهو يمارس الرذيلة أو يأخذ ما ليس له من أموال المسلمين .

لقد صرنا أمثولة الأمم .. بل أماثيل في سياستنا واقتصادنا وثقافتنا وواقعنا وأخلاقنا وحاضرنا ومستقبلنا .. ومع ذلك فالقوم مشغولون بقضية التماثيل التي أثاروها في العام الماضي ، وصنعوا من أجلها مناحة ملأت الدنيا لأن رئيس حي أو مدينة لم يضع تماثيل لآلهتهم المزعومة في إحدى الحدائق ..

ويا وطن الأماثيل .. لابد من فجر جديد.

***

وعد الله هو الحق

عندما انتصر حزب العدالة والتنمية الإسلامي فى الانتخابات الأخيرة ٢٢/ ٧/٧/٢٠٠م ؛ فقد رأيت فيه بشارة بانتصار الإسلام بإذنه تعالى ، وأحسست فيه بداية للعمل الإسلامي الواعي الذي يواجه شراسة خصوم الإسلام دون أن يقطر الدم أو تتوزع الأشلاء .. كان الأمر دليلاً على الوعي الذي يحمله المؤمن ، ويواجه به " الجاهليين " الجدد ، الذين يعبدون " الغرب " من دون الله ، ويقدمون القرابين لأصنام خربة العقل والنفس والوجدان ، لاتعرف الرحمة أو الإنسانية ..

لقد زرت استانبول عام ١٩٩٣م ، ورأيت القمامة تملأ شوارعها ، وعمال النظافة يُعلنون إضرابا شاملاً من أجل مطالبهم وحقوقهم .. ثم رأيت ما هو أعجب ، انتشار النمط الأوروبى فى أحط صوره يسود شوارع استانبول وأحيائها ، الدعارة رسمية ومتاحة فى مداخل الفنادق وعلى الأرصفة ، والخمور تملأ الأماكن التجارية وغير التجارية ، والإباحية تعرض فى صحف ومجلات على الملأ ..وقنوات التلفزة تعرض الأفلام الزرقاء بوصفها أمراً عادياً ...!

بعد تولى " رجب طيب رضوان " وكان عمره ٣٩ عاماً آنئذ – منصب عمدة استانبول راح يحل مشكلاتها المزمنة ، وواجه الدعارة بشجاعة حين وفر لمن يعملن فيها عملاً كريما ووضعا إنسانيا ، وشجع تجار الخمور على تغيير أنشطتهم .. يومها كان " الغرب " الاستعمارى ينظر إلى هذا العمدة الشاب بريبة وحذر ، ويرى فيه خطراً حقيقياً ، يفوق خطر القاعدة وبن لادن

والقمصان الحمر ، لأنه يعتمد العقل والمنطق والإقناع فى تحريك الواقع نحو الأفضل ، فكان أن دخل السجن وتم التشهير به ، وحرمانه من العمل السياسى ، ولكنه استطاع بعد فترة قصيرة أن يعود كرة أخرى ، ويتحول من عمدة استانبول إلى عمدة تركيا كلها من خلال حزب العدالة ،ومع القيود والسدود التى وضعها النظام العلمانى الإرهابي المعادى للإسلام ، فقد تجاوز كل ذلك بفضل الله ، ثم بفضل الأيدى المتوضئة المنحازة إلى الله ، وليس إلى أصنام النهب الاستعمارى ، فحارب الفساد وأسس للتنمية الحقيقة ، واستطاع أن يناور ليُجنب بلاده عار المشاركة فى الهجوم على بغداد عاصمة الخلافة العباسية وإسقاطها ،ولم يسقط في الفخ الذي وقع بعض تاعرب الأشاوس والنشامى ! وما زال يقف حجر عثرة ضد تفكيك العراق الذى يقوده نفر من الأكراد المستقوين بالشيطان الأكبر والشيطان الأصغر معا .

لست ضد من ينقدون الظاهرة الإسلامية التركية ، ويرون فيها تركيزاً على العمل السياسى ، أكثر من العمل التربوي ، ولكنى ضد من يفقدون الأمل فى انتصار الإسلام داخل البلاد العربية .. لقد حرّك اليهود " أتاتورك " ليعلى من شأن الفكرة الطورانية والعلمانية ضد الإسلام ، وكان " موئيز كوهين " من أقرب المقربين إلى الغازى ، ومن كبار المنظرين لسياسته ، حتى صار كتابه " طوران " هو الكتاب المقدس للسياسة الطورانية ، لدرجة أن يشير السياسي البريطانى المعروف سير ونستون تشرشل فى مذكراته إلى أنه اتخذ من كتاب " موئيز كوهين " الذى نشره عام ١٩١٤م بعنوان " الطورانية والجامعة الإسلامية " ، مرجعاً وحيداً فى دراسة موقف الدولة العثمانية !

ولست أشك مقدار ذرة واحدة ، فى تحقيق وعد الله بنصرة عباده المسلمين إذا أخلصوا لربهم ، وزرعوا الإسلام فى النفوس والقلوب والعقول . وحوّلوه إلى كيان حيّ يتحرك على الأرض بالأخلاق والعمل والتضحية ، فضلاً عن العبادة .قال تعالى : " يأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم " (محمد : ٧) ، وقال جل شأنه : " إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ، ويوم يقوم الأشهاد " (غافر :٥١).

لقد استدعى ذهنى الشاعر الإسلامي التركى العظيم " محمد عاكف " الذى طارده " أتاتورك " وعملاؤه ، فلجأ إلى مصر فى شتاء ١٩٢٥م ، وعاش فيها إلى أن أدركه الموت عام ١٩٣٦م .

كان محمد عاكف وسط ظلام العلمانية وهيمنتها على بلاده ، وبلاد إسلامية كثيرة ، يرى الأمل وسط هذا الظلام وتلك الهيمنة . وكان قلمه وشعره دليله إلى هذا الأمل الذى لم يخفت يوماً وإن تحقق بعد رحيله بنحو سبعين عاماً .. وقد ترجم له " محمد حرب " ترجمة ضافية فى كتابه " العثمانيون فى التاريخ والحضارة " (دمشق ١٤٠٩ = ١٩٨٩م) . وأورد مقتطفات

من شعره ، كما كتب عنه آخرون أبرزهم : " عبد الوهاب عزام" و " حسين مجيب المصري " و" محمد رجب البيومى " .

وكان " عاكف " – وهو أفضل كثيراً من الناحية الفنية من الشاعر التركى الشيوعى " ناظم حكمت " ، الذى روّج له الشيوعيون المصريون – يفهم الإسلام فهما دقيقا ، ويدرك علل المسلمين وأخطائهم ويُبشر بالأمل القادم ، الذى بدت ملامحه فى الظهور على ضفاف البسفور مع بداية القرن الحادى والعشرين .

لقد رأى عاكف فى القرآن الكريم مصدراً أصليا للحركة ، وفى الإسلام نظاماً حياتيا ينظم حياة الأمة والمجتمع ، وأن القرآن :

" لم ينزل ليُقرأ على القبور

ولا ليستخرج منه الفأل "

" ويجب أن نستلهم القرآن مباشرة

ويجب إدراك العصر بقول بالإسلام "

ويحث على الاستفادة بعلوم الغرب وتقنيته ، يقول :

" خذوا علوم الغرب ، خذوا فنونه

وأعطوا مساعيكم أقصى سرعتها

انتبهوا لعلوم الغرب

لأن الحياة بدونها مستحيل ...."

إن " عاكف " الذى يرفض النعرات القومية المتعصبة ويحذر من الغرب وألاعيبه السياسية ، ويدعو إلى الأخذ بالعلم التطبيقى وترك النظريات الفارغة ويحذر من الكتّاب المنافقين الذين لا يلتزمون بالإسلام ، يؤكد على ضرورة اليقظة الإسلامية والوعى بالدين ، ويُبشّر بالأمل دائماً :

" مادام وعد الله لنا هو الحق / فإن فجر الشرق الأزلى ، سيشرق " ، " المؤمن لا يقع فى اليأس ولو قيد ذرة " ، " اليأس مستنقع قذر / لو وقعت فيه لاختنقت ، فاعتصم بالأمل "

ويذكر " محمد عاكف " بفجر الدعوة الإسلامية وكيف استطاع المسلمون الأوائل أن يُغيروا الدنيا :

" انظروا ! كيف صاروا فى ثلاثين عاما؟!! / ملكوا الأرض بتقدم ثلاثين ألف عام / فليرجع المسلمون إلى صدر الإسلام " .. " لن يحيا التركي بدون العربي / وكل من يقول بعكس هذا ، فهو أبله . فالتركي بالنسبة للعربي / عينه اليمنى وساعده الأيمن .. " لندفن الفُرقة فى قبر النسيان "

رحم الله " محمد عاكف " وسدّد خطا المسلمين على طريق الصواب .

***

كتب للمؤلف
الأستاذ الدكتور حلمي محمد القاعود

أولا : كتب صادرة عن دار النشر الدولي بالرياض

١- النقد الأدبي الحديث: بداياته وتطوراته.
٢- تيسير علم المعاني .
٣- الأدب الإسلامي : الفكرة والتطبيق .
٤- محمد- صلى الله عليه وسلم –في الشعر العربي الحديث (طبعة ثانية منقحة ومزيدة ومجلدة وفاخرة) .
٥- المدخل إلى البلاغة القرآنية .
٦- القصائد الإسلامية الطوال في العصر الحديث: دراسة ونصوص (طبعة رابعة منقحة ومزيدة ومجلدة وفاخرة).
٧ - تطور النثر العربي في العصر الحديث .
٨- مدرسة البيان في النثر الحديث .
٩- تطور الشعر العربي في العصر الحديث .
١٠ – المدخل إلى البلاغة النبوية .

ثانيا : كتب صادرة عن دار العلم والإيمان (دسوق – كفر الشيخ) :

١- الإخوان والنظام : برنامج الحزب المستحيل .
٢ - وجوه عربية وإسلامية .
٣ - الورد والهالوك : شعراء السبعينيات في مصر (طبعة ثالثة) .
٤ - الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني (طبعة ثالثة) .
٥ - الرواية التاريخية في أدبنا الحديث (طبعة ثالثة) .
٦ - الرواية الإسلامية المعاصرة (طبعة ثانية).
٧ - في رياض النبوة (٣ أجزاء)
٨ - شعراء وقضايا : قراءة في الشعر العربي الحديث .

ثالثا : إسلاميات :

١ - مسلمون لا نخجل (٤ طبعات).

٢ - حراس العقيدة (٣ طبعات).
٣ - الحرب الصليبية العاشرة.
٤ - العودة إلى الينابيع .
٥ - الصلح الأسود .. والطريق إلى القدس .
٦ - ثورة المساجد .. حجارة من سجيل .
٧ - هتلر الشرق .
٨ - جاهلية صدام وزلزال الخليج .
٧ - أهل الفن وتجارة الغرائز (طبعتان) .
٨ - النظام العسكري في الجزائر .
٩ - حفنة سطور .. شهادة إسلامية .
١٠ - الأقصى في مواجهة أفيال أبرهة .
١١ - الإسلام في مواجهة الاستئصال .
١٢ - تحرير الإسلام .
١٣ - دفاعا عن الإسلام والحرية .
١٤ - التنوير .. رؤية إسلامية .
١٥ - معركة الحجاب والصراع الحضاري .
١٦ - العصا الغليظة .
١٧ - واسلمي يا مصر.
١٨ - ثقافة التبعية : المنهج . الخصائص . التطبيقات .
١٩- انتصار الدم على السيف.
٢٠- التمرد الطائفي في مصر : أبعاده وتجلياته .
٢١ – العمامة والثقافة : دفاع الإسلام وهجوم العلمانية .
٢٢ – عباد الرحمن وعباد السلطان .
٢٣– الأقلية السعيدة : يوميات التمرد والتسامح !
24- ربيع الأمة: ثورة الورد والياسمين ، من سيدي بوزيد إلى ميدان التحرير.

رابعا : كتب أدبية ونقدية :

١- الغروب المستحيل (سيرة كاتب) .
٢- رائحة الحبيب (مجموعة قصصية عن حرب رمضان) .
٣- الحب يأتي مصادفة (رواية عن حرب رمضان) .
٤- موسم البحث عن هوية : دراسات في الرواية والقصة) .
٥- حوار مع الرواية في مصر وسورية .
٦- لويس عوض الأسطورة والحقيقة .
٧- الوعي والغيبوبة : دراسات في الرواية المعاصرة .
٨- إنسانية الأدب الإسلامي .
٩- حصيرة الريف الواسعة .
١٠- أضواء على الرواية الإسلامية المعاصرة .
١١– الحكاية كلها معاصرة(دراسات في الرواية) .

خامسا : إعلام :

١- الصحافة المهاجرة : رؤية إسلامية .

سادساً: كتب للأطفال :

١- واحد من سبعة .

سابعاً : كتب محققة :

١ - فتاوى كبار الكتاب والأدباء في مستقبل اللغة العربية ونهضة الشرق العربي وموقفه إزاء المدنية الغربية .
٢ - أحسن ما كتبت .

ثامنا – كتب معدة للنشر:

- الحداثة العربية : المصطلح والمفهوم (طبعة ثانية) .
- الإبادة والمقاومة : الشعب الفلسطيني لا يموت .
– خبز السلطة .. خبز الحرية (الحقل الثقافي في مصر المعاصرة) .
- الحلم والدهشة (قراءة أدبية) .
– اللحم الإسلامي المستباح .
- حضرت التبعية .. وغابت الهوية .
- صالون الشعر والأدب (أعلام وقضايا) .
- نداء الفطرة .
- اخلع إسلامك .. تعش آمنا ؟!
- ثقافة تزغيط البط !
- محرقة غزة .. الشعب الفلسطيني يقاوم !
- القيم الإسلامية في رسائل النور
- كهنة آمون !
- المدافعة والمداولة – قراءة في السنن والتحولات .

ثامنا : كتب إعادة طبع :

١ – التغريب وتجلياته (لويس عوض نموذجا) .
٢ – حوار مع الرواية في مصر وسورية .
٣ – حصيرة الريف الواسعة .
٤ - إنسانية الأدب الإسلامي .
٥ – الحب يأتي مصادفة (رواية عن حرب رمضان) .
٦ - أهل الفن وتجارة الغرائز .
٧ – معركة الحجاب والصراع الحضاري .
٨ - التنوير رؤية إسلامية .

الفهرس